شعر الأسرة البرمكية
دراسة تحليلية

دكتور
مصطفى فتحى أبو شارب
كلية الآداب – جامعة طنطا

شعر الأسرة البرمكية

دراسة تحليلية

تقديم

يرصد هذ البحث الدور الخطير الذى قام به (البرامكة) فى إثراء الحياة الثقافية، بوصفهم أسرة من أشهر الأسر التى هيمنت على مقدرات الأمور فى صدر الدولة العباسية وبخاصة فى عصر الرشيد، وقد حاولت إبراز الجهود الضخمة التى بذلها (البرامكة) فى سبيل الاهتمام بالأدب والعناية بالشعراء والكُتّاب، وعكفت على أشعارهم بالدراسة والتحليل وبيان قيمتها التاريخية واستخلاص الظواهر الفنية فيها.

وانطلقت إلى هذه الدراسة من خلال منهج تاريخى فنى، حيث بدأت تمهيدها بكلمة موجزة عن المجتمع العباسى، وكيف ظهرت أسرة البرامكة على مسرح الأحداث؛ من خلال الحديث عن نشأتهم وسيرتهم ومؤهلاتهم التى أتاحت لهم الاتصال بالعباسيين والفوز بثقتهم وإسناد الوزارة إليهم، وتفويضهم فى القيام بأمر الدولة وأعبائها فترة غير قصيرة ، إلى أن أطاح بسلطانهم الخليفة العباسى هارون الرشيد، ومن ثم أفلت شمس مجدهم وحلت بهم النكبة التى أودت بمصير كثير منهم .

وانطلقت من ذلك التمهيد إلى القسم الأول من تلك الدراسة، وخصصته للحديث عن البلاط البرمكى وأهم شعرائه. فأبرزت جهود البرامكة فى إثراء الحياة الثقافية والأدبية من خلال ما كانوا يتمتعون به من مواهب فنية وملكات إبداعية ظهرت جلية فى ملاحظاتهم النقدية القيمة، وشغفهم بالأدب والأدباء، وتقديرهم لدور الشعراء فى الدعوة لهم والتغنى بمآثرهم والتمكين لسلطانهم. فقد تفننوا فى جذب الشعراء إلى دائرتهم وغمروهم برعايتهم وجوائزهم، وأفسحوا لهم فى مجالسهم، وحثوهم على الإبداع والإجادة، حتى أنهم نصّبوا أبان بن عبد الحميد اللاحقى حكما بين الشعراء إذ قلدوه ديوان شعرهم يمنح الجوائز للشعراء كل حسب إجادته. ثم تحدثت عن شعراء البرامكة أنفسهم وهم : يحيى بن خالد بن برمك والفضل بن يحيى البرمكى وجعفر بن يحيى البرمكى، وثلاثتهم عدهم المؤرخون من الشعراء الكتاب؛

لأن الشعر لم يكن شغلهم الشاغل بسبب ماتولوه من مناصب وزارية فى الدولة جعلت الكتابة همهم الأكبر.

وهدفنا فى هذا البحث دراسة أشعارهم، فالبرغم من قلة ما خلفوه لنا من نتاج شعرى صحيح النسبة إليهم، فقد خلفوا لنا من ذريتهم أبا الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد المعروف بجحظة البرمكى النديم، الذى عرف بأشعاره الرائقة وتقدمه فى كثير من الفنون. ويأتى القسم الثانى من تلك الدراسة ليتناول موضوعات شعراء البرامكة أنفسهم وأهم المعانى التى عالجوها . وقد اختص القسم الثالث والأخير ببيان قيمة هذا الشعر، وأهم ظواهره الفنية. ثم تأتى خاتمة البحث لتتضمن أهم النتائج التى توصلت إليها .

وأرجو أن أكون قد و وفقت فيما قصدت إليه، وما توفيقى إلا بالله.

البرامكة : المنشأ والسيرة .

أخذت الدعوة العباسية تشق طريقها إلى الوجود فى دعة ويسر، وفق سياسة مرسومة وخطة موضوعة بعناية، ترتكز على أساس من واقع الحالة السياسية، ودراسة دقيقة للتنظيم الاجتماعى الذى كان سائدا آنذاك، وعلى دخائل نفوس الناس ومشاعرهم الحقيقية، فقد بدأت دعوتهم فى وقت تصطرع فيه المذاهب السياسية والدينية المختلفة، فالطبرى ينبئنا أن الدعوة بدأت عام ١٠٠هـ [١] عن طريق الدعاة والنقباء الذين اندسوا بين الناس يبشرون بهذه الدعوة الجديدة ويصورونها لهم تصويرا دينيا أخاذا فى حين أنها كانت دعوة سياسية لاشك فيها. وبدء هذه الدعوة فى وقت مبكر كان من أهم الأسباب فى نجاحها، يضاف إلى ذلك أن العباسيين - فى بداية الأمر - عملوا على توحيد جهودهم وتنظيم صفوفهم مع الشيعة، حتى بدت الدعوتان شيئا واحدا، فلما انفصل العباسيون كسبوا إلى صفوفهم عددا كبيرا من أنصار المذهب الشيعى السائد بين الموالى الذين كانوا يحلمون بالخلاص من الحكم الأموى ويطمحون إلى المساواة، فوجدوا فى هذه الدعوة أملا كبيرا وملاذا حصينا، فانضمت أعداد كبيرة منهم إلى جيش أبى مسلم الخراسانى .

كما نجح العباسيون أيضا فى اختيار مكان دعوتهم، فحينما بدأوها فى الكوفة حيث

كثرة الموالى وغلاة الشيعة تبين لهم أن الميول العلوية فى الكوفة قوية جارفة، وأن النزعة القبلية والعصبية العربية تسيطر عليها، فسرعان ما تحولوا بدعوتهم إلى خراسان. وبذلك تزايد أتباع الدعوة العباسية من الأعاجم ، ولما كانت معركة (الزاب) الشهيرة استطاع جيش أبى مسلم القضاء نهائيا على السيادة الأموية العربية .

وفى هذه الأثناء شعر الموالى والأعاجم - وبخاصة الفرس - بعظم الدور الذى لعبوه فى إقامة الدعوة العباسية، وأحسوا بكيانهم وشخصيتهم ، بعد أن كانوا كمًا مهملا فى الحياة السياسية يضطرون إلى اصطناع هذا الحزب أو ذلك. وقد حقق لهم العباسيون كثيرا مما كانوا يتوقون إليه ضمن برنامج سياستهم التى لاتفرق بين العرب والفرس، فأسندوا إليهم عدة مناصب هامة فى الدولة، لما لهم من بصر بشئون الملك وتدبيره، وتجلت مواهبهم فى شتى ميادين الحياة، ولم يزدهم ذلك إلا شعورا بقوتهم، واعتزازاً بأنفسهم، فطمحوا إلى سلب السيادة من العرب واسترجاع سلطانهم القديم. وعندما أحس الخلفاء العباسيون بخطورتهم وهذه الثورة التى تعتمل فى صدورهم وتلك الأمانى التى كانت تجيش فى نفوسهم لم يترددوا فى التعجيل بالانتقام منهم أو القضاء عليهم كلما أمكنهم ذلك .

والواقع أن أغلبية الدراسين قد توهموا تطامن الخلافة العباسية منذ نشأتها للنفوذ الفارسى، والتخلى عن عروبتها، بسبب ما لاحظوه من أخذ العباسيين بنظم الفرس وحضارتهم، وبسبب قيام الدولة على أكتافهم وسواعدهم. ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد غير ذلك . فالخلفاء العباسيون الأولون لم يتخلوا قط عن عصبيتهم للعروبة، وإن كانت بحكم التطور الاجتماعى والسياسى الذى حدث آنذاك قد خفت حدتها عن ذى قبل. ومع ذلك فقد ظل العصر العباسى عصر السيادة العربية إلى أن ذهبت دولة الأمين وجاء المأمون بهواه الفارسى.

والحقيقة التى لاشك فيها أن العباسيين منذ بداية تأسيس دولتهم عمدوا إلى تنظيم أمورها وتدبير شئونها نظرا لاتساع رقعتها من جانب، وتعقد النظام السياسى والإدارى للدولة الإسلامية من جانب آخر، مما فرض عليهم اقتباس نظم جديدة إضافة لما اقتبسه الأمويون قبل ذلك من الساسانيين والبيزنطيين. فكثرت الدواوين كثرة يبررها تعقد الحياة فى نواحيها المختلفة، وبذلت محاولات صادقة لتعريبها واستحدثت مناصب جديدة فى الدولة، فعلى الرغم

من تسمية زياد بن أبيه وزير معاوية، إلا أن هذا المنصب لم يوجد إلا فى أيام العباسيين لحاجة الخلفاء إلى وسيط بينهم وبين الرعية، ولعله من أبرز النظم السياسية التى أخذها العرب عن الفرس .

وكلمة وزير تعنى المساعد أو المعين ومن يشد به الأزر. والوزارة نوعان : وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ[٢]، ويحق للنوع الأول القيام بجميع شئون الدولة المالية والإدارية والحربية وغيرها، أما النوع الآخر فلا يتصرف إلا بأمر الخليفة. وكان عند العرب من يقوم مقام الوزير دون أن يطلق عليه هذا اللقب ، ولم تكن الأصول الأعجمية للموالى لتمنعهم من تقلد أرقى المناصب فى دولة بنى العباس وذلك لحاجة الخلفاء إليهم، والإفادة مما لديهم من حضارات وخبرات بالنظم السياسية وإدارة شئون الدولة والدواوين. فقد استوزر عبدالله بن محمد السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ) أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال[٣] ثم فتك به بعد ذلك، واستوزر خالد بن برمك [٤] زعيم حزب الموالى ورأس الأسرة البرمكية.

والبرامكة أسرة فارسية الأصل . سموا كذلك نسبة إلى برمك سادن معبد النوبهار بالقرب من مدينة بلخ[٥]. فكلمة (برمك) إذاً ليست اسما لعلم، ولكنه منصب دينى لقب به سادن هذا المعبد. وبعض الكتب الفارسية تزعم أن البرامكة وزروا للساسانيين من ملوك الفرس، منذ أردشير بن بابك وكانت الوزارة وراثية فيهم ثم زالت عنهم بزوال ملك آل ساسان ؛ فوضعوا كتبا فى أصول الحكم ونظام الوزارة توارثها أبناؤهم عن آبائهم، وزاد فيها الأبناء ما جد من تجاربهم؛ وبعد أن ذهب عنهم سلطان الوزارة تولوا القوامة على بيت النوبهار[٦]. فكل من تولى مهمة سدانته يدعى (برمكا) ولم يزل يليه برمك إلى أن انتهت سدانته إلى أحد البرامك، وكان من أولاده خالد البرمكى الذى اتصل بالمسلمين وأسلم، وقد اختلف المؤرخون والدارسون الذين تحدثوا عن البرامكة فى طبيعة معبد النوبهار. فمنهم من رأى أنه بيت نار[٧]، ومنهم من رأى أنه بيت لعبادة الأوثان [٨]، ومنهم من رأى أنه دير من الأديرة .

وهذا الاختلاف - فى رأيى - ناتج من محاولة كل منهم تفسير الشعوبية عند البرامكة وإضمارهم لعقائدهم القديمة. فابن قتيبة يقول : (البرامكة كانوا يرمون بالزندقة إلا أقلهم). ثم يروى بيتين للأصمعى فى ذلك (وينسبان أيضا لأبى نواس) يتضمنان اتهاما صريحا للبرامكة

بالزندقة، يقول الشاعر :

إذا ذكر الشرك فى مجلس أضاءت وجوه بنى برمك

وإن تليت عندهم آية آتوا بالأحاديث عن مزدك[٩]

ومثل هذا الاتهام يقول به ابن النديم مستثنيا محمد بن خالد [١٠]. كذلك نصت بعض المصادر على أن البرامكة كانوا يضمرون المجوسية دينهم القديم [١١]. وبعضها تنسبهم إلى المانوية. ويرى أنطون رباط اليسوعى أنهم كانوا يميلون إلى النصرانية، ويستشهد على ذلك بما جاء فى زيارة جعفر البرمكى لإحدى الكنائس، وتغير الرشيد على النصارى وتشدده معهم بعد إيقاعه بالبرامكة[١٢] . وإذا كان ما يقوله هذا الكاتب مبرأ من العصبية الدينية فإن البرامكة حينئذ يكونون فى جانب المانوية لا المجوسية؛ لأن المانوية هى أقرب هذه المذاهب إلى الدين المسيحى وفيها عناصر كثيرة منه [١٣]. ومن ثم نرجح أن يكون النوبهار ديرا من الأديرة[١٤].

ومهما يكن من أمر فإن البرامكة أسلموا وتعايشوا مع المسلمين مثل غيرهم من الأعاجم، والذى يعنينا هو الدور الفاعل الذى لعبه خالد بن برمك فى خدمة الدعوة العباسية، فقد ولد خالد بن برمك سنة ٩٠ هـ لأسرة تتمتع بنفوذ وقوة وسلطان فى بلاد الفرس، ومن هنا اعتمد عليه أبو مسلم الخراسانى فى دعوته للعباسيين، فكان من أكبر دعاتها، وأنشط نقبائها، وترأس أحد أقسام الجيش الخراسانى الذى توجه إلى العراق. وعندما آل الحكم للعباسيين ولاه السفاح ديوان الخراج فديوان الجند، وكثر فيه حامده، وحسن أثره [١٥]. ثم استوزره بعد مقتل أبى سلمة الخلال، فكان أول من ولى الوزارة من البرامكة، وعندما تولى المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ) أقره على ما كان عليه [١٦]. ثم ولاه فارس، وندبه لإخماد ثورة فى الموصل وجعله واليا عليها وعلى شمال الجزيرة، وظل كذلك إلى أن توفى المنصور [١٧].
وقد قيل على لسان أحد أهل الموصل : " ما هبنا قط أميرا هيبتنا خالد بن برمك، من غير أن تشتد عقوبته، ولا نرى منه جبرية، ولكن هيبة كانت له فى صدورنا" [١٨].

وهذا يدل على الصفات التى تمتع بها خالد بن برمك من حسن سياسته فى الرعية، وتنظيمه لأمور الولاية، وعقليته الراجحة، وكرم أخلاقه وإحسانه إلى الناس، فهو أول من أطلق

على (المستميحين وطلاب البر) اسم الزُّوَّار، وكانوا قبل ذلك يسمون (سؤَّالا)، فاستقبح ذلك قائلا : "هذا والله اسم استقله لطلاب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤملين ؛ لأن فيهم الأشراف والأحرار، وأبناء النعيم، ومن لعله خير ممن يقصد، وأفضل أدبا، ولكنا نسميهم الزوار" (١٩). وكان بشار بن برد حاضرا فى مجلسه، فأعجبته التسمية، فقال لساعته : (٢٠).

حذا خالد فى فعله حذو برمك ... فمجد له مستطرف وأصيل

وكان ذوو الآمال يدعون قبله ... بلفظ على الإعدام فيه دليل

يسمون بالسؤال فى كل موطن ... وإن كان فيهم نابه وجليل

فسماهم الزوار سترا عليهم ... فأستاره فى المجتدين سدول

وقد أثنى عليه المسعودى بقوله : " لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله، لايحيى فى رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى فى جوده وبراعته، ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته، ولا محمد بن يحيى فى سروه وبعد همته، ولاموسى بن يحيى فى شجاعته وبأسه "(٢١) .

وهكذا ظل خالد بن برمك يتدرج فى المناصب، و يتألق نجمه ويعلو شأنه. مما ساعده على أن يوطد صلته بالعباسيين، ويمهد الطريق أمام أسرته لتكون لها المنزلة نفسها، فيتولى يحيى بن خالد الوزارة فى عهد الرشيد، ويتبادل الفضل بن يحيى وأخوه جعفر التصرف فى شئون الخلافة وإدارة الدولة دون الرجوع إلى الخليفة؛ لأن وزارتهم كانت من النوع الأول الذى أشرنا إليه من قبل ، فقد حظى يحيى بن خالد البرمكى بثقة عدد من الخلفاء واستولى على إعجاب المنصور، فكان يقول : " ولد الناس ابنا وولد خالد أبا" (٢٢) . ، وتقديرا لجهوده وتفانيه فى خدمة العباسيين وما عرف به من حزم وتدبير ولاه المنصور أيضا أذربيجا سنة ١٥٨ هـ، ثم اختاره المهدى سنة ١٦٣ هـ ليكون كاتبا ووزيرا لابنه هارون الرشيد عندما أسند إليه أمر المغرب وأذربيجان وأرمينية، ولما جاء الهادى (١٦٩ - ١٧٠ هـ) أقره على ما كان عليه (٢٣).

وتبدأ الصلة بين الرشيد والبرامكة منذ طفولته المبكرة، فقد قيل : إن الفضل بن يحيى أخو الرشيد من الرضاعة، وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة[٢٤] :

كفى لك فضلا أن أفضل حرة غذتك بثدى والخليفة واحد

لقد زنت يحيى فى المشاهد كلها كما زان يحيى خالدا فى المشاهد

وهذا يدلنا على توطد العلاقة بين أسرة المهدى وأسرة يحيى بن خالد؛ حيث أرضعت زوج يحيى، أم الفضل هارون الرشيد، كما أرضعت الخيزران، أم الرشيد، الفضل بن يحيى، مما جعل الرشيد يجل يحيى ويكبره، فلا يناديه إلا بقوله : " يا أبت"[٢٥] .

وتذكر الروايات أيضا أن الرشيد كان مدينا ليحيى بتثبيته فى ولاية العهد وصيرورة الخلافة إليه؛ وذلك لأن المهدى عندما تولى الخلافة جعل ولاية العهد لاثنين من أبنائه هما الهادى والرشيد، فلما تولى الهادى الخلافة أراد خلع الرشيد وجعل ابنه مكانه، فتصدى له يحيى بن خالد ووقف بجانب الرشيد حتى آلت إليه الخلافة [٢٦]. ولعل هذا من أهم الأسباب التى جعلت الرشيد يقدره تقديرا خاصا، ويقلده وزراته، ويدفع إليه بخاتمه، ويطلق يده فى تدبير شئون مملكته، فكان يقول له : " ياأبت أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك، وحسن تدبيرك، قد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقى إليك، فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، وامضى الأمور على ما ترى، فإنى غير ناظر فى شئ" [٢٧]. وفى ذلك يقول إبراهيم الموصلى [٢٨]:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولى هارون أشرق نورها

بيمن أمير المؤمنين هارون ذى الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها

فهو أول وزير أمر من الوزراء[٢٩] ، وقد قام بالمهمة خير قيام لقدرته على إدارة الأمور وبراعته فيها، وما كان يتصف به من ذكاء وكياسة وحلم وفضل ونقاء السريرة، هذا بالإضافة إلى تواضعه وثقافته العالية العربية والأعجمية، وحسن أدبه وبلاغته. فقد روى المسعودى : أن يحيى بن خالد، " كان ذا علم ومعرفة وبحث ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام، وغيرهم من أهل الآراء والنحل" [٣٠]. وكان الحديث فى هذه المجالس

يدور حول كل شئ له أساس منطقى أو طبيعة فلسفية، حتى العشق كانوا يتحدثون عن فلسفته [٣١].

وقد نشا يحيى أبناء تنشئة سليمة، وتعهدهم بالرعاية، وزرع فى نفوسهم الأخلاق الكريمة والمحامد الجليلة التى تغنى بها الشعراء فى حياتهم وبعد نكبتهم. فقد روى أن يحيى أحضر مؤدب ولده دينار[٣٢] وكتابه وأصحابه بعد موته فقال لهم : ما حال إبراهيم ؟ قالوا: قد بلغ من الأدب كذا، ونظر فى كذا، وقد اتخذنا له من الضياع كذا، وبلغت غلته كذا؛ قال : ما عن هذا سألت، إنما سألت : هل اتخذتم له فى أعناق الرجال مننا، وحببتموه إلى الناس؟ قالوا : لا، قال : فبئس العشراء أنتم! وهو إلى هذا أحوج مما فعلتم [٣٣].

وقد سبقت إشارة المسعودى حين عدد فضائل أبنائه ، فتقلد الفضل بن يحيى الوزراة، وأراد الرشيد أن ينقلها إلى أخيه جعفر بن يحيى، وكان يستأثر بمحبة الرشيد بينما كان الفضل مقربا إلى أبيه[٣٤]. ولم يرد الرشيد أن يعزل الفضل كما يعزل أى وزير، وإنما كتب إلى يحيى : " إن أمير المؤمنين رأى أن ينقل خاتم الخلافة من يمينك إلى شمالك" [٣٥].

وقدر الرشيد الجهود الكبيرة التى بذلها كل من الفضل وجعفر فى خدمة الخلافة، وعظمت منزلتهما عنده، فأسند إلى الأول القيام بتدبير أمر ولده المأمون وجعل الأمين فى كنف الثانى .

وكانت الصلة القوية بين الرشيد وجعفر سببا فى توجس يحيى وقلقه على ولده ، بعد أن أطلق الرشيد يده فى كل شئ فى أمور الدولة، وأصبح الآمر الناهى فيها، حتى الأمور الشخصية المتعلقة بالرشيد نفسه [٣٦].

ولاشك أن هذا التداخل القوى وتلك الثقة الزائدة، قد جلبا لجعفر بن يحيى الكثير من المتاعب، فقد صار هدفا لسهام الحاقدين وطعما لكيد الكائدين الذين أوغروا صدر الرشيد عليه وعلى البرامكة. وسرعان ما تحققت هواجس يحيى، فقد أمر الرشيد بقتل جعفر وصلبه فى السبت الأول من صفر عام ١٨٧ هـ، ونكل ببقية البرامكة، فزج بيحيى وابنه الفضل فى غياهب السجن، وقبض على أموالهم وما كان لهم من رقيق وموالٍ وحشم، وصادر جميع

ممتلكاتهم، وفرق الكتب فى ليلته إلى جميع العمال فى مختلف البلدان بذلك.

وقال يحيى بن خالد عندما نكبوا : " هكذا تقوم الساعة" (٣٧). وكتب إلى الرشيد : " إن كان الذنب يا أمير المؤمنين خاصا فلا تعم بالعقوبة، فإن لى سلامة البرئ، ومودة الولى" فوقع الرشيد فى حاشية كتابه : " قضى الأمر الذى فيه تستفتيان " (٣٨).

وقد اختلف المؤرخون وتباينت آراؤهم حول أسباب نكبة البرامكة؛ فمنهم من يرجعها إلى استئثار هم بشئون الخلافة واحتيازهم للأموال دون الرشيد (٣٩). ومنهم من يرجعها إلى تأسيس الفضل بن يحيى لجيش العباسية فى خراسان، وهو جيش فارسى تماما، بلغ عدده خمسمائة ألف، جعلوا ولاءهم للبرامكة، وشعر الرشيد بالخطر يتهدده من أمر هذا الجيش(٤٠). ومنهم من قال إن سبب نكبتهم إطلاقهم أحد الثوار العلويين فى الديلم؛ وهو يحيى بن عبدالله العلوى(٤١)؛ لأن هوى البرامكة كان مع الشيعة، وتخوف العباسيين على ملكهم من الشيعة ومن يناصره. ومنهم من يرجع السبب إلى العلاقة التى كانت بين العباسية أخت الرشيد وجعفر بن يحيى (٤٢). ومنهم من يردها إلى كثرة الوشايات والدسائس التى قام الفضل بن الربيع بدور كبير فيها حتى أوغر صدر الرشيد عليهم (٤٣). ومنهم من قال إنهم أظهروا الشعوبية واتهموا بالزندقة (٤٤).

والحقيقة أن الإيقاع بالبرامكة لم يكن شيئا هينا، يكفى أن يبرره سبب أو سببان، كان يمكن تلافى ما ينشأ عنهما أو يترتب عليهما. وإنما هى أسباب كثيرة مجتمعة كانت السبب فى نكبتهم، فالرشيد نفسه لم يفصح عن السبب الحقيقى، ولم يكن الإيقاع بهم نتيجة غضبة سريعة من جانب الرشيد، وإنما كان شيئا منظماً مرتبا حاك خيوطه الرشيد وحده، الذى وصفه الجاحظ بقوله : " كان الرشيد يقول : إنا معشر الملوك إذا غضبنا على واحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بعد ذلك، بقى لتلك الغضبة أثر لا يخرجه ليل ولانهار. ومرة أخرى يقول : كان أشد الملوك بحثا عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية وأحزمهم فيها أمراً (٤٥).

فالإطاحة بالبرامكة - فى رأيى - كانت نتيجة لدورهم الخطير فى سياسة الدولة، وقيادتهم لحزب الموالى وتوجيه سياسته فى الخفاء، ومن ثم أراد الرشيد أن يضرب ضربة قوية موجهة للنفوذ الفارسى وللموالى والأعاجم جميعا، فجرى على حكم السياسة المرة، واحتاط

لملكه ولمملكته. فقد ذكر الثعالبى : " أن الملك عقيم ، أى لا أرحام بين الملوك وبين أحد ؛ لأنهم يجرون على حكم السياسة المرة، ويبلغون كل مبلغ من الاحتياط على الملك والمملكة، ولايقارون أحدا يخافونه على الملك الذى هو أجل الرتب، وأعلى الأحوال، وألذ الأشياء ويصطلون كائنا من كان من أقاربائهم وإخوانهم وأبنائهم، ويقتلون أقرب الناس منهم نسبا، إذا أحسوا منهم قدحا فى سلطانهم " (٤٦).

وعلى الرغم مما أصاب البرامكة على أيدى العباسيين، لم يطو التاريخ صفتهم بل ظلوا فى قلوب الناس الذين اصطنعوهم فى حياتهم، وبخاصة الشعراء الذين وفوا لهم صادقين مخلصين، فأخذوا يعددون محاسنهم وأياديهم عليهم فى مراثيهم المفجعة، وكثيرا ما كانوا يقفون بأطلال ديارهم الخربة يبكونها فى الخفاء خشية السلطان وبطشه.

كما أدت نكبتهم إلى اتساع هوة الخلاف بين العرب والفرس، وإن لم يظهر ذلك واضحا فى أول الأمر، فقد تجلى بعد موت الرشيد حين دب الخلاف بين الأمين والمأمون؛ إذ وقف العرب والفضل بن الربيع بجانب الأمين، وكان الفرس والفضل بن سهل ربيب البرامكة وصنيعة أيديهم مع المأمون .

البلاط البرمكى وشعراؤه :

لقد أدرك البرامكة الذين تمرسوا بشئون الحكم وأساليب الاحتفاظ بالسلطة أهمية الشعر وخطر دوره فى الدعاية السياسية لهم والتغنى بمآثرهم وخصالهم، ومن هنا اجتذبوا الشعراء إلى مجالسهم ومنتدياتهم بكل الوسائل الممكنة، وقد ساعدهم على ذلك كلفهم بالآدب وشغفهم بالثقافة بمختلف أنواعها، فكان منهم شعراء وكتاب يستعذبون الشعر ويحسنون تذوقه. وقد وفد عليهم الشعراء من كل حدب وصوب يدبجون فيهم المدائح التى تتغنى بمناقبهم، ويأخذون فى المقابل رفدهم وعطاياهم، حتى أننا لانكاد نجد شاعرا فى عصرهم إلا وقال فيهم مدحا، وعدت كثير من تلك المدائح من عيون الشعر العربى، فكانت ألسنة تنطق بفضلهم على الدولة.

وبعض الباحثين يرى أن موالاة الشعراء للبرامكة كانت لونا من ألوان التحزب السياسى

والإيمان بقدراتهم ورياستهم . فتصنف عصمه غوشه علاقة الشعراء بالبرامكة فتقول : "وتختلف علاقة كل منهم ببنى برمك وتتخذ لونا خاصا فعلاقة أبان (بن عبدالحميد اللاحقى) علاقة فكرية وفنية، وعلاقة الرقاشى علاقة عاطفية تتضح فى تحسره على فقدانهم، وعلاقة سلم (الخاسر) خاصة بالفضل بن يحيى ... أما الشعراء الآخرون فالبرامكة بالنسبة لهم حكام فى الدينا وما فيها من مال وجاه وسلطان "[٤٧] .

بيد أننا نجد أبان بن عبدالحميد اللاحقى يحظى بمنزلة رفيعة لدى البرامكة، فجعلوه مؤدبا، ومعلما لصبيانهم وشبابهم، وفى رأيى أن اختياره لهذه المهمة كان له أسباب خفية إذ كان يتمتع بثقافة فارسية واسعة، وقد شجعه البرامكة على إحيائها والتعصب لها. فيروى أن يحيى بن خالد ألزمه داراً لايخرج منها حتى ينقل كتاب "كليلة ودمنة" من الكلام إلى الشعر؛ ليسهل حفظه، فنقله إلى قصيدة عملها مزدوجة، عدد أبياتها أربعة عشر ألف بيت، فى ثلاثة أشهر، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة، وقال له جعفر بن يحيى : ألا ترضى أن أكون راويتك لها! ولم يعطه شيئا [٤٨]. . وعمل أيضا قصيدة ذات الحلل، ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق [٤٩]. وكان لتشجيع البرامكة أثره فى أن ينظم قصائد أخرى مثل قصيدة الصوم والزكاة [٥٠]. وبرز فى هذا اللون من الشعر التعليمى وفاق به شعراء عصره؛ فنظم كتاب مزدك، وكتاب السندباد، وسيرة أردشير، وسيرة آنوشروان .

ولشدة احتفاء البرامكة بالشعر أسسوا فى بلاطهم ديوان شعر خاصا بهم يتولاه أحد شعرائهم يحكم بين الشعراء ويعطى الجوائز حسبما يريد ويرتب الشعراء حسب إجادتهم للشعر، وإبداعهم فى مدح البرامكة، ويصرف لهم من الأموال ما يريد[٥١] . وقد تولى أبان بن عبدالحميد ديوان شعرهم هذا فترة من الزمن [٥٢]. كما كانت لهم مجالس خاصة يستقبلون فيها الشعراء فى أوقات معينة، ويستمعون إلى مدائحهم، وأشعارهم وما يدور حولها من نقاش وجدل يثيره نخبة من جلة علماء عصرهم، ويتبارى الشعراء ويتنافس الجميع فى إبراز قدراته وملكاته؛ ليكسب عطف البرامكة ومودتهم. وكان لهذه المجالس أثرها فى إثارة قرائح الشعراء وحثهم على الإبداع والتجويد. من ذلك ما يروى أن أبا العذافر ورد بن سعد العمى

كان عند الفضل بن يحيى فى جماعة، فذكروا هذا البيت الذى قاله أحد الشعراء :

مالقينا من جود فضل بن يحيى صير الناس كلهم، شعراء

فأجمعوا على جودته، وقالوا : ماله عيب إلا أنه يتيم منفرد .

فقال ورد العمى :

علم المعجمين أن ينطقوا الأشـــــ ـعار منا والباخلين السخاء

فاستحسنوا منه ذلك (٥٣).

وكتب الأدب مليئة بالأشعار التى قيلت فى البرامكة، ومليئة أيضا بالرويات التى تصور تزاحم كثرة هائلة من الشعراء على بلاطهم، وإغداقهم عليهم الأموال الطائلة، حتى يخيل للمتفحص أن وفود الشعراء على البرامكة كان أكثر من وفودهم على الخليفة نفسه .

فلا شك أنهم جذبوا إليهم الأضواء، وتألق نجم كثير من الشعراء فى عهدهم على اختلاف طبقاتهم؛ من أمثال : بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، ومروان بن أبى حفصة، وسلم الخاسر، والرقاشى، والعتابى، وأبى الحجناء نصيب، وأشجع السلمى، وابن مناذر، وسليمان الأعمى، ومنصور النمرى، والمخيم الراسبى، وغيرهم. ولم يك ذاك إلا لإدراكهم لمفهوم الشعر وتقديرهم لدوره فى تدعيم سياستهم وتوطيد مكانتهم .

كما اهتمو اهتماما ملحوظا بالعمل على نقل الثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية، فأنشأوا معهدا علميا خاصا بالترجمة، وطالبوا العلماء فى مختلف الجهات بترجمة ما يقع تحت أيديهم من تراث الأمم الأخرى، وإيداعه فى دار الحكمة التى قاموا على خدمتها والإشراف عليها. فيذكر لنا ابن النديم - على سبيل المثال : أنه رأى كتابا فيه " ملل الهند وأديانها" كان يحيى بن خالد البرمكى بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فى بلادهم، وأمره أن يكتب له أديانهم، فكتب له هذا الكتاب (٥٤). يضاف إلى ذلك أن يحيى البرمكى - كما يقال - هو أول من اهتم بصناعة الورق، ونقلها من الصين إلى بغداد، وشيد بها أول مصنع لصناعته، مما سهل عملية التدوين للمصنفات العربية والمترجمة، التى كثرت وتعددت آنذاك(٥٥) .

وقام البرامكة أيضا بدور فعال فى تنشيط الحركة الأدبية من خلال مواقفهم المختلفة تجاه الشعراء، وملاحظاتهم النقدية القيمة، ونظراتهم الفنية الدقيقة التى تنم عن ذوق أدبى رفيع وحس فنى عال. فقد روى ابن رشيق [٥٦] محاورة طريفة على لسان شرحبيل بن معن بن زائدة، قال : كنت أسير تحت قبة يحيى بن خالد وعديله أبو يوسف القاضى وهما يريدان الحج، إذ أتاه أعرابى من بنى أسد فى شارة حسنة، كان يلقاه إذا حج فيمدحه، فأنشده شعرا؛ فأنكر يحيى منه بيتا، وقال : ألم أقل لك ألا ترجع إلى هذا المعنى؟ (أو ألم أنهك عن مثل هذا الشعر؟) ثم قال : يا أخا بنى أسد، إذا قلت الشعر فقل كقول الذى يقول :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها فى غيل خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل

.... الخ .

فقال له أبو يوسف، وقد أعجبته الأبيات ! لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه؟ فقال يحيى : يقوله ابن أبى حفصة فى أبى هذا الفتى، وأومأ إلى فكان قوله أسر إلى من جليل الفوائد، ثم التفت إلى وقال : ياشرحبيل، أنشدنى أجود ما قاله ابن أبى حفصة فى أبيك، فأنشدته :

نعم المناخ لراغب ولراهب ... ممن تصيب جوانح الأزمان

معن بن زائدة الذى زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان

... الخ

فقال يحيى : أنت لاتدرى جيد ما مدح به أبوك ؛ أجود من هذا قوله :

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فلا نحن ندرى أى يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ؟ ... وما منهما إلا أغر محجل

وهذان البيتان آخر قصيدة ابن أبى حفصة التى تمثل يحيى بأبيات منها للأعرابى.

وكان الفضل بن يحيى حاضر البديهة بصير بالشعر ناقدا له يتذوقه. فيروى أنه قال

لأبى النضير : أنت القائل فينا :

إذا كنت من بغداد فى رأس فرسخ وجدت نسيم الجود من آل برمك

لقد ضيقت علينا جدا، قال : أفلأجل ذلك أيها الأمير ضاقت على صلتك، وضاقت عنى مكافأتك ، وأنا الذى أقول :

تشاغل الناس ببنيانهم والفضل فى بنيانه جاهد

كل ذوى الفضل وأهل النهى للفضل فى تدبيره حامد

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلت :

إذا كنت فى بغداد منقطع الثرى وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال الفضل : إنما أخرت عنك لأمازحك؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم[٥٧] . ووفد أبو النضير على الفضل بن يحيى وقد ولد له مولود، ولم يكن يعرف الخبر، فارتجل قائلا:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح ذو الفصل

وتنبسط الآمال منه لفضله .....

ثم ارتج فلم يدر ما يقول. فقال الفضل يلقنه :

..... ولاسيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهة الفضل فى هذا[٥٨] . ولما عمل أبو نواس فى الفضل بن يحيى قصيدته التى أولها :

طرحتم من الترحال أمرا فغمنا ولو قد فعلتم صبح الموت بعضنا

فلما بلغ إلى قوله :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواك ، لعل الفضل يجمع بيننا

فقال الفضل : ما زدت على أن جعلتنى قوادا ! [٥٩]

ولما أنشد أبو الخطاب الفضل بن يحيى قوله :

وجد له يابن أبى على بنفحة من ملك سخى

فإنه عود على بدى فإنما الوسمى بالولى

فقال الفضل ! " بنفحة من نفح برمكى " ؛ فجعله كذلك (٦٠).

وأنشده مروان بن أبى حفصة :

نفرت فلاشلت يد خالدية رتقت بها الفتق الذى بين هاشم

فقال له الفضل : قل :"برمكية"؛ فقد يشركنا فى خالد بشر كثير، ولايشركنا فى برمك أحد (٦١).

ويروى(٦٢) أن مروان بن أبى حفصة دخل على جعفر بن يحيى، فأنشده مدحته التى يقول فيها : -

أبر فما يرجو جواد لحاقه أبو الفضل سباق اللهاميم جعفر

وزير إذا ناب الخليفة حادث أشار بما عنه الخليفه يصدر

فقال : ويحك أنشدنى مرثيتك فى معن بن زائدة :

وكان الناس كلهم لمعن - إلى أن زار حفرته - عيالا

فأنشده إياها حتى فرغ من القصيدة، وجعفر يرسل دموعه، فلما سكن قال : أثابك أحد من ولده وأهله على هذه شيئا؟ قال : لا . قال جعفر : فلو كان معن حيا ثم سمعها منك، كم كان يثيبك عليها؟ قال : أربعمائة دينار. قال جعفر : لكنى أظن أنه كان لا يرضى لك بذاك، وقد أمرنا لك عن معن بضعف ما قلت، وزدنا نحن مثل ذلك، فاقبض من الخازن ألف وستمائة دينار قبل أن تنصرف إلى رحلك. فقال مروان يذكر ذلك، ويمدح جعفرا، وزادها فى مرثيته لمعن:

نفحت مكافئا عن قبر معن لنا مما تجود به سجالا

فجعلت العطية يا بن يحيى بتأدية ولم ترد المطالا

فكافـأ عن صدى معن جواد بأجود راحة بذلت نوالا

بنى لك خالد وأبوك يحيى بناء فى المكارم لن ينالا

كـأن البـرمـكى بكـل مـال تجود به يداه يفيد مالا

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا كل الأخبار التى تروى فى مجال تذوقهم النقدى وملاحظاتهم الفنية الدقيقة وقد اكتفينا بما ذكرناه وفيه دلالة واضحة على إلمامهم بأشعار السابقين والمعاصرين، وأنهم كانوا يتمتعون بشخصية أدبية ونقدية متفردة.

والواقع أن دور البرامكة فى ازدهار الحياة الثقافية والأدبية فى العصر العباسى لايمكن إغفاله، أو التقليل من شأنه، ولايستطيع أحد إنكاره، فنجاحهم فى دفع حركة الحياة الأدبية والنهوض بها نحو التطور والأزدهار لايقل بحال عن نجاحهم فى معترك السياسة واستيلائهم على أعلى المناصب فى الدولة. ولم يقتصر دورهم على تشجيع الأدب والأدباء وحسب، بل ضربوا فيه بسهم وافر من خلال نتاجهم الأدبى المتعدد، فقد اعترف كثير من معاصريهم ومن جاء بعدهم بمكانتهم الأدبية، وشهدوا لهم بالبلاغة والفصاحة .

فذكر ابن خلكان أن يحيى بن خالد كان من العقلاء الكرماء البلغاء؛ ومن كلامه "ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الهدية والكتاب والرسول " وكان يقول لولده : اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون. وكان يقول : الدنيا دول والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وبمن بعدنا عبرة. وقد ذكره المأمون فقال : لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد فى الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة " (٦٣). وذكر الجاحظ أن مويس بن عمران كان يقول : " لم أر أنطلق من أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد" (٦٤). ويرى ياقوت أن يحيى بن خالد، كان من أكمل أهل زمانه أدبا وفصاحة وبلاغة وعده من كبار كتاب عصره، وقال معللا سبب الترجمة له فى كتابه : " وإنما دخل فى شرط كتابنا من جهة بلاغته، وتقدمه على أهل عصره فى الانشاء والكتابة، وماصدر عنه من الحكم والأقوال، التى تداولها الرواة، وملئت بها الدفاتر" (٦٥). ووصفهم سهل بن هارون بقوله : " والله إن كانوا سجعوا الخطب، وقرضوا القريض لعيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى. ولو كان كلام يتصور

درا، أو يحيله المنطق السرى جوهرا لكان كلامهم والمنتقى من لفظهما ... وأدركت طبقة المتكلمين فى أيامهم، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل إلا فيهم ، ولم تكن مقصورة إلا عليهم، ولا انقادت إلا لهم، وأنهم محض الأنام، ولباب الكرام، وملح الأيام، عتق منظر، وجودة مخبر، وجزالة منطق، وسهولة لفظ، ونزاهة نفس، واكتمال خصال ؛ حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم، والمأثور من خصالهم، كثير أيام سواهم، من لدن آدم أبيهم إلى النفخ فى الصور، وانبعاث أهل القبور، حاشى أنبياء الله المكرمين، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت إلا بهم، ولا عولت إلا عليهم " (٦٦) . ووصف ثمامة بن أشرس، جعفر بن يحيى بقوله (٦٧): "كان أنطق الناس، قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الإعادة، ولو كان فى الأرض ناطق يستغنى بمنطقه عن الإشارة لاستغنى جعفر عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة. وقال مرة : ما رأيت أحدا كان لايتحبس ولايتلجلج ولايتنحنح ولايرتقب لفظا قد استدعاه من بعد، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه، أشد اقتدارا، ولا أقل تكلفا، من جعفر بن يحيى.

وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان؟ قال : ان يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلى عن معزاك، وتخرجه من الشركة ولاتستعين عليه بالفكرة، والذى لابد له منه أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأويل " وعدهم ابن النديم فى الكُتّاب المترسلين، الذين رويت رسائلهم ، ولكنه جعل ذلك قليلا بالنسبة للفضل، كما عدهم أيضا فى الشعراء الكتاب إلا أنه جعلهم من الشعراء المقلين(٦٨). وذكر الجهشيارى أن عبدالله بن ياسين قال : " حدثنى أبى ؛ قال: كنا عند الفضل بن يحيى، فخضنا فى الشعر، فإذا هو من أروى الناس له، وأجودهم طبعا فيه، فقلت له : أصلحك الله! لوقلت شيئا من الشعر، فإنه يزيد فى الذكر، وينبه؛ فقال : هيهات ! شيطان الشعر أخبث من أن أسلطه على عقلى " (٦٩).

وهذه العبارة الأخيرة لاتنفى عن الفضل جودة طبعه وحسن بديهته، بل كل ما تعنيه أنه خشى أن يسلط شيطان الشعر على عقله، ومع ذلك لم يستطع الفكاك منه، فقد جادت قريحته بأشعار رائقة. كما أن الأيام لم تبخل علينا بشاعر بارع من ذريتهم هو أبو الحسن أحمد بن

جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، المقلب بجحظة البرمكى. وصفه ابن النديم بأنه : " شاعر مغنى مطبوع فى الشعر حاذق بصناعة غناء الطنبور، وحسن الآدب بارع فى معناه، وقد لقى العلماء والرواة وأخذ عنهم [٧٠]" . ووصفه ياقوت بقوله : " كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفا فى فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر ، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا " [٧١] . وأضاف ابن خلكان أن له ديوان شعر أكثره جيد، وقد جمع أبو نصر ابن المرزبان أخباره وأشعاره [٧٢] . وذكر ابن النديم عدة كتب له؛ منها : كتاب الطبيخ، كتاب الطنبورتين، كتاب فضائل السكباج، كتاب النديم، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد، كتاب المشاهدات، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام[٧٣].

وبعد جحظة من المعمرين فقد قيل : إنه ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفى سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وقيل : سنة أربع وعشرين بواسط [٧٤].

ووصفه بعضهم بأنه كان وسخا قذرا دنئ النفس، فى دينه قلة [٧٥]. ويبدو أن حظ جحظة فى الحياة لم يكن مثل حظ سلفه، فالأخبار التى وردت عنه تدل على أنه كان رقيق الحال مقترا فى أواخر أيامه وأنشد لنفسه [٧٦]:

ما أنصفتنى يد الزمان ولا ... أدركنى غير حرفة الأدب

وبعد أن يفحش فى سب أبيه وأمه، يقول :

ما تركا درهما أصون به ... وجهى يوما عن ذلة الطلب

ومن خلال تلك الملاحظات النقدية القيمة، وهذه الآراء التى تجمع على امتلاكهم لزمام البلاغة والبيان، وشهد بها معظم الأدباء والمؤرخين، تتكشف لنا عمق شخصيتهم الأدبية الناقدة، ووعيهم وتمرسهم بفن الشعر ومعرفة أسرار جماله وأصول صناعته. كما يتبين لنا أن البرامكة كانوا على درجة عالية من الثقافة نهلوا من ينابيعها المختلفة وانعكس ذلك على ما خلفوه وادخره الزمان من نتائج خواطرهم، وثمرات قرائحهم، وأبكار أفكارهم .

موضوعات شعراء البرامكة :

إن شعر الوزراء والكتاب وذوى الرياسة ينفق بالانتساب إلى قائليه، فهم لايقولون الشعر إلا استجابة لضواغط داخلية قوية، نظرا لطبقتهم الاجتماعية، ولظروفهم المادية، أو عندما يجدون أنفسهم مدفوعين لقول الشعر فحسب. فهم لم يدفعوا إلى مسالك القول دفعا، ولم تضطرهم ظروفهم - فى الغالب - إلى مدح أو هجاء، وما إلى ذلك من الفنون الشعرية الأخرى التى يضطر إليها الشعراء المحترفون لعلة أو لأخرى.

وهذه الطبقة من الشعراء لايمكن أن نتحدث ونحن بصددها عن التنافس من أجل لقمة العيش أو مطالب احتراف الشعر؛ لأنهم لم يبذلوا شعرهم فى رغبة ولارهبة، ولكنهم قالوه بوحى عواطفهم فيما أحبوه ورغبوا التعبير عنه؛ لذا جاء شعرهم تعبيرا صادقا عن أنفسهم ومشاعرهم، فهم ليسوا بحاجة إلى التزيد والمبالغة، أو التزييف والكذب وتلفيق العاطفة. وفى ذلك يقول ابن رشيق : " والكتاب أرق الناس فى الشعر طبعا، وأملحهم تصنيعا، وأحلاهم ألفاظا، وألطفهم معانى ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف. وقد قيل الكتاب " دهاقين الكلام" (٧٧). ثم يقول مؤكدا ما ذكرناه : " وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر؛ لرغبة الكتاب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها، وقلة الكلفة، والإتيان بما يخف على النفس منها ، وأيضا فإن أكثر أشعارهم إنما يأتى تطرفا، لا عن رغبة ولارهبة، فهم مطلقون مخلون فى شهواتهم، مسامحون فى مذهبهم؛ إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخيرا واستظرافا ... وعلى هذا النمط يجرى الحكم فى أشعار الخلفاء، والأمراء، والمترفين من أهل الأقدار : لايحسابون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذى الشعر صناعته والمديح بضاعته (٧٨).

والشئ الذى يمكن أن نصنعه مع البرامكة أن نجمع شعرهم من المظان المختلفة ونعتنى عناية فائقة بتوثيقه، ونتناوله بالدراسة والتحليل شكلا ومضمونا، ونرده إلى دوافعه الحقيقية؛ لنعرف الخصوصية التى تميز بها شعر هؤلاء عن غيرهم من الشعراء، وما فيه من عناصر فكرية وحضارية جديدة كانت وليدة الظروف المحيطة بهم ، والبيئة التى انتسبوا إليها.

والحقيقة التى ينبغى أن نشير إليها أن معظم أشعارهم عبارة عن مقطعات

قصيرة، نظموها فى موضوعات أو مناسبات متفرقة، فى الشكوى، والعتاب، والفخر والوصف، وغيرها من الموضوعات الشعرية الأخرى، وعلى الرغم من قلتها فإنها تقفنا على ما كان يتمتع به هؤلاء من موهبة شعرية متأصلة، ومقدرة فنية جيدة، فشعرهم فى معظمه لايقل فى جودته عن شعر الصفوة من كبار الشعراء فى هذا العصر .

اولاً: الاستعطاف والشكوى .

تتردد كثيرا فى شعر البرامكة أنات الحزن وآهات الأسى والحسرة، وتسيطر عليهم الروح المتشائمة القانتة من الحياة بعدما حلت بهم النكبة ومال بهم الزمان، وطوى صفحتهم الشقاء والحرمان. ولم يجدوا أمامهم سبيلا إلى النجاة سوى صرخات الاستعطاف يطلقونها هنا وهناك لعل الرشيد يرق لصداها ويتجاوز عنهم. ومن أجود ما وصل إلينا فى هذا الغرض تلك القصيدة التى كتبها يحيى بن خالد فى سجنه يصف فيها للرشيد حاله وحال أسرته وما حل بهم من ذل وهوان بعدما تنكرت لهم الدنيا وجل أمانيهم أن يصفح عنهم ويطلقهم من قيودهم ويعيد لهم الحياة من جديد، يقول (٧٩) :

قل للخليفة ذى الصنيـــ ـــعة والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريـــ ـــش والملوك العاليه

إن البرامكة الذيـــ ـــن رموا لديك بداهيه

صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديه

فكأنهم مما بهم أعجاز نخل خاويه

عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقيه

بعد الإمارة والـــوزا رة والأمور الساميه

ومنازل كانت لهم فوق المنازل عاليه

أضحوا وجل مناهم منك الرضا والعافيه

يا من يود لى الردى يكفيك منى ما بيه

يكفيك ما أبصرت من ذلـــى وذل مكانيـــه

وبكـاء فـاطمة الكثيـــ ـــبة والمدامع جـارية

ومـقالـها بتـــوجع ياسـوأتى وشـقائـــيه

من لى وقد غضب الزما ن عـلى جمـيع رجاليـه

يالـهف نفـسى لهـفـها مـا للزمـان ومـا ليـه؟

ياعـطفـة المـلك الرضـا عـــودى عـلينا ثـانيـه

ولما رأى يحيى أن الرشيد لم يهتم بأمره ولم يكن له جواب عنده توسل إلى الأمين ليشفع له ولأولاده عند والده، حيث كان رضيع ولده، فوعده بذلك، لكنه شغل عنهم بلهوه ولعبه، فلما استبطأه يحيى، كتب إليه بتلك المقطوعة مبينا مكانة الأمين فى نفوسهم فهو رجاؤهم وملاذهم بعدما سدت أبواب الدنيا جميعا فى وجوههم، وإليه يلجأ كل من يشعر ببلاء وشقاء، ثم يذكره بوعده لهم ، يقول (٨٠):

يا ملاذى وعصمتى وعمادى ومجيرى من الخطوب الشداد

بك قام الرجاء فـى كل قلب زاد فيـه الـبلاء كـل مـزاد

إنمـا أنـت نعـمة أعقبـتها نعـم نفـعها لـكل العـباد

وعـد مولاك أتمنه فأبهى الد ر ما زيـن حـسنه بانعـقاد

ما أظلت سحـائب اليأس إلا كان فى كشفها عليك اعتمادى

إن تراخـت يداك عـنى فواقا أكـلتنى الأيـام أكـل الجـراد

واجتهد الأمين فى توصيل الأبيات إلى والده عن طريق أمه زبيدة، ولكن الرشيد ظل متمسكا بموقفه تجاههم فوقع فى أسفلها " عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك"(٨١). وهد توقيع الرشيد الأخير كل آمال يحيى وخيم اليأس على نفسه وازدادت قسوة المحنة ولم يجد ملاذا يخفف عن نفسه آلامها إلا أن يتوجه بالشكوى إلى الله، ويعرِّض بالرشيد وما أوقعه به وبأسرته من ظلم وأذى، يقول (٨٢):

ستعلم فى الحساب إذا التقينا غدا يوم القيام من الظلوم

وينقطع التلذذ عن أناس من الدنيا وتنقطع الهموم

تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا ننوم

تروم الخلد فى دار المنايا وكم قد رام غيرك ما تروم

وحق الله إن الظلم لوم وإن الظلم مرتعه وخيم[٨٣]

إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

ولما وصلت هذه الأبيات للرشيد كان قد مات يحيى وحزن عليه حزنا شديدا وتمنى أن يكون حيا ليطلق سراحه .

أما الفضل بن يحيى فيتوجه بشكواه إلى الله ويتضرع إليه؛ لأنه وحده القادر على كشف الغمة وإزاحة البلوى بعدما تنكر لهم الزمان وفقدوا الأمان، وأصبحوا فى عداد المفقودين رغم أنهم أحياء، يقول [٨٤]:

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى ففى يده كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن فى الأموات فيها ولا الأحيا

إذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

أما شكوى جحظة البرمكى فتتلون بصبغة أخرى نظرا لهوان مكانته الاجتماعية حيث كانت منزلته دون منزلة أسلافه، فلم يكن يملك سوى أشعاره وطنبوره، وكثيرا ما كان يهرع إلى أهل الجود يستصرخهم ليدفعوا عنه أذى البرد فى الشتاء، ويعتذر لفقرة بأن الجود فرق ماله، فيقول [٨٥]:

جاء الشتاء وما عندى له ورق مما وهبت، ولا عندى له خلع

كانت فبددها جود ولعت بـه ... وللمساكين أيضا بالندى ولع

ونراه يتطلع إلى عالم مثالى ومجتمع أفضل فيشكو زمانه الذى انقلبت فيه معايير الأشياء، فيقول (٨٦):

لاتعجبنى ياهند من ... حالى فما فيها عجب

إن الزمان بمن تقد ... م فى النباهة منقلب

فالجهل يضطهد الحجى ... والرأس يعلوه الذنب

ويلاحظ أن الخوف من بطش الحكام والمتنفذين كان له دور بارز فى تجاهل حجظة مصدر الفساد الحقيقى ، فهو يرى أن انشغاله بالأدب وتفوقه فى مجالاته سببا رئيسا فى ضياعه وهوانه فى هذا المجتمع الذى انقلبت موازينه، فيقول (٨٧):

حسبى ضجرت من الأدب ... ورأيته سبب العطب

وهجرت إعراب الكلا ... م وما حفظت من الخطب

ورهنت ديوان النقا ... ئض واسترحت من التعب

وهو كغيره من البشر الذين يسخطون على بلدهم إذا شعروا فيها بالمذلة والهوان وخاصة إذا تقلد الجاهل أرقى المناصب وبات العالم النابه قيد النسيان، يقول(٨٨) :

لقد أصبحت فى بلد خسيس ... أمص به ثماد الرزق مصا

إذا رفعت مسناة لو غد ... توهم جوده ما ليس يحصى

رأيت المجد إحسانا وجودا ... فصار المجد آجرا وجصا

وأحيانا يمزج شكواه بسخرية تعلوها مراره الحسرة على نفسه وعلى الزمن الذى يعيش فيه، فيقول(٨٩) :

أصبحت بين معاشر هجروا الندى ... وتقلبوا الأخلاق من أسلافهم

قوم أحاول نيلهم فكأنما ... حاولت نتف الشعر من آنافهم

هات اسقنيها بالكبير وغنني " ذهب الذين يعاش فى أكنافهم"

ويرى أن الدهر جنى جناية كبرى حين أفنى من كانوا يشدون أزره ويجبرون كسره، ولم يترك له إلا هؤلاء اللئام الذين إذا جاءهم فى حاجة تكسرت عظامهم، وتخلوا عنه سريعا، ثم يلتمس لنفسه العزاء فى الصبر على هذا الزمن الأعوج، يقول [٩٠]:

أجحظة إن تجزع على فقد معشر فقدت بهم من كان للكسر يجبر

وأصبحت فى قوم كأن عظامهم إذا جئتهم فى حاجة تتكسر

فصبرا جميلا إن فى الصبر مقنعا على ما جناه الدهر، والله أكبر

ويمتلك حجظة قدرة فنية عالية فى تصوير سخريته من أهل زمانه الذين ضنوا عليه بالعيادة فى مرضه، فيقول [٩١]:

مرضت فلم يكن فى الأرض حر يشرفنى ببر أو سلام

وضنوا بالعيادة وهى أجر كأن عيادتى بذل الطعام

ويصور رد فعله تجاههم فيقول فى موضع آخر [٩٢]:

مرضت فلم يعدنى فى شكاتى من الإخوان ذو كرم وخير

فإن مرضوا، وللأيام حكم سينفذ فى الكبير وفى الصغير

غدوت على المدامة والملاهى وإن ماتوا خرنت [٩٣] على القبور

وكان حجظة صديقا لابن مقلة (محمد بن على بن الحسن) قبل أن يتقلد الوزارة للمقتدر ثم القاهر ثم الراضى، فلما استوزر استأذن عليه جحظة فحجب عنه ولم يأذن له. فعاتبه جحظة عتابا رقيقا يقول فيه [٩٤]:

قل للوزير - أدام الله دولته : اذكر منادمتى والخبز خشكار [٩٥]

إذا ليس بالباب برذون لنوبتكم ولاغلام ولا بالباب طيار

وبعد أن أصابه البؤس والعدم فى أواخر حياته يسأل الوزير ابن مقله أن يعطف عليه

ويرحمه، ويذكره بحقه نحوه حيث كانت بينهما دالة منادمة وصداقة قديمة، ويقول[٩٦]:

سلام عليكم من شيخ مقوس ... له جسد بال وعظم محطم

ألم يك فى حق الندام وحرمة الـ ... ـمدائح أن يحنى عليه ويرحم

أبا حسن أنصف فأنت محكم ... ولا تقربن الظلم فالظلم مظلم

أيصبح مثلى فى جوارك ضائعا ... وحوضك للطراق بالجود مفعم

ووالله ماقصرت فى شكر نعمة ... مننت بها قدما وذو العرش يعلم

ويشعر جحظة بالمرارة وتثور براكين الغضب فى نفسه إذا أهينت كرامته، فقد حدث أن جلس مع أحمد بن أبى العلاء المغنى فى حضرت عبدالله بن المعتز، وعربد ابن أبى العلاء على جحظة، فأمر ابن المعتز بتنحية جحظة حتى يرضى ابن أبى العلاء، فكتب جحظة إلى ابن المعتز [٩٧]:

أليس من العجائب أن مثلى ... يقام لأحمد بن أبى العلاء

ولى نفس أبت إلا ارتفاعا ... فاضحت كالسماء على السماء

لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

ويبدو أن نفسه الأبية وإحساسه الشديد بالأنا وهوان أمره على الناس، كل هذه الأشياء نغصت عليه حياته وجعلته يصب جام غضبه على الزمن الذى يعيش فيه، يقول[٩٨]:

يطول على الليل حتى أمله ... فأجلس والنوام فى غفلة عنى

فلا أنا بالراضى من الدهر فعله ... ولا الدهر يرضى بالذى ناله منى

وعلى هذا النحو الذى رأينا تتردد صرخات الشكوى والاستعطاف فى شعر البرامكة لإحساسهم الشديد بمكانتهم وشعورهم بالظلم الذى حاق بهم إما من الرشيد كما حدث عند الأوائل، وإما من المجتمع الذى بخس جحظة حقه وأهدر منزلته. وهى فى مجملها نفثات مصدورين أثقلت كواهلهم الهموم والأحزان، فجاءت شكواهم ترجمة حقيقية لمشاعرهم الصادقة، وتميز أسلوبهم بالصراحة والوضوح من ناحية، وبالسخرية والمرارة من ناحية أخرى .

ثانيا : الفخر .

كنا نتوقع من أسرة عريقة كالأسرة البرمكية أن تخلف لنا شعرا فى الفخر أكثر من أى غرض آخر، ونظرا لضياع معظم أشعارهم وقلتها بصفة عامة جاء فخرهم قليلا جدا فلم أعثر إلا على أبيات معدودة منها ما ذيل بها يحيى بن خالد إحدى رسائله حين وقع يوسف بن القاسم - وكان من كتاب البرامكة - فى أزمة مالية بسبب زواج ابنه، وسأل يحيى بن خالد أن يوقع له سلفه، فرفض يحيى وتحمل كل نفقات الزواج من ماله الخاص وكتب له رقعة بذلك وقد جاء فى أسفلها هذه الأبيات [٩٩]:

عندى لمثلك إحسان وتكرمة ... فثق بذلك منى وابسط الأملا

اعمل على ثقة إنى أنا رجل ... لا أمنع المرء موجودا إذا سألا

وإن عندى لك الحسنى ونافلة ... بنصح غيبك إذ لم تبغ بى بدلا

ولما حبس يحيى بن خالد وقيد قال[١٠٠] :

وإنى من القوم الذين يزيدهم ... علوا وفخرا شدة الحدثان

فقيل : فى هذا الوقت تقول هذا؟ فقال : من مات قبل أجله حتى أكونه؟

وللفضل بن يحيى أبيات يرد بها على من اعترض عليه لعظم عطائه للشعراء والأدباء وغيرهم من السؤال والمعتفين، ويفخر فيها بكثرة بذله وكرمه، يقول [١٠١]:

إذا ملكت كفى منالا ولم أنل ... فلا انبسطت كفى ولانهضت رجلى

على الله إخلاف الذى قد بذلته ... فلا مبق لى بخلى ولا متلفى بذلى

أرونى بخيلا نال مجدا ببخله ... وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ويفخر جحظة بآبائه البرامكة الذين عرفوا بجودهم وكرمهم حتى صارت عطاياهم مضرب الأمثال، وامتلأت المجالس والدفاتر بتقريظهم وإثبات مناقبهم، ويقول [١٠٢]:

أنا ابن أناس مول الناس جودهم ... فأضحوا حديثا للنوال المشهر

فلم يخل من إحسانهم لفظ مخبر ولم يخل من تقريظهم بطن دفتر

ويفخر مرة أخرى بنفسه وبشعره وبأنه رجل مغمور لايعرفه أحد من أهل الدنيا، والذى يعرفه معرفة قوية هو البؤس والعدم وسوء الحال، لأنه دائما يسعف سائليه ولم يدخر شيئا لنفسه ، يقول(١٠٣) :

وقائل قال لى : من أنت؟ قلت له مقال ذى حكمة واتت له الحكم

لست الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

أنا الذى دينه إسعاف سائله والضر يعرفه والبؤس والعدم

أنا الذى حب أهل البيت أفقره فالعدل مستعبر والجور مبتسم

ويظهر من البيت الأخير أن جحظة شيعى، وأن حبه لأهل البيت قد أفقره وهذا ليس بغريب، فهو فارسى الأصل، والفرس آنذاك شيعة متعصبون، كما أنه بغدادى وبغداد كانت فى أيامه بيد الطاهريين المتشيعين (١٠٤).

ثالثاً : الحكمة :

فى شعر البرامكة أبيات قليلة فى الحكمة يأتى بها الشاعر منهم للنصح أو للموعظة وضرب المثل، وخاصة بعد أن اتسعت آفاق الثقافة الإسلامية ووسعت علوما ومعارف أجنبية مختلفة، وانتشرت بين العرب حكم ومواعظ وأمثال الأمم الأجنبية كالفرس والروم والهنود واطلعوا عليها واستفادوا بها واقتبسوا منها .

وشعر الحكمة رغم الثقافة مع شعر الزهد فى أكثر من ناحية إلا أنه يختلف عنه اختلافا واضحا. فالزهد مذهب فى الحياة له قواعده ورسومه الخاصة، وله ملابسه وفرائضه المعينة. ويفترض فى متبعى هذا المذهب أن يتجردوا لله ويعكفوا على صلواتهم فى خلوة من البشر متجردين من الترف وزخرف الدنيا. لايبغون عرضا من أعراضها. ولا مطلبا من مطالب الحياة المادية التى يقبل عليها الإنسان العادى. أما الحكمة فهى - إن لم تكن تجربة ذاتية - مذهب فى الشعر لا فى الحياة ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء فيه بحكم ثقافته وتكوينة الفكرى، ولا يطلب منه شئ وراء ذلك. فليس هناك قواعد ولا رسوم معينة

للشعراء الحكماء، وليست هناك فرائض عليهم أداؤها، ولا أى تقليد آخر مثلما يفترض فى الزهد[١٠٥] .

وشعر البرامكة فى الحكمة مجموعة تجارب إنسانية ومواعظ يسوقها الشاعر بتأثير ثقافته الواسعة من واقع تجربته الخاصة وخبرته فى الحياة. من ذلك ما يروى أن الفضل بن يحيى لما كان واليا على خراسان كتب صاحب البريد إلى الرشيد كتابا يذكر فيه : أن الفضل تشاغل بالصيد واللذات عن النظر فى أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له : يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب إلى الفضل كتابا يردعه عن مثل هذا . فمد يحيى يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى ابنه على ظهر الكتاب الدى ورد من صاحب البريد : حفظك الله يابنى وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه لم يعرفه أهل زمانه إلا به والسلام. وكتب تحته هذه الأبيات يوجهه فيها، وينصحه بها[١٠٦] :

انصب نهارا فى طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذا الليل بدا مقبلا ... وغاب فيه عنك وجه الرقيب

فبادر الليل بما تشتهى ... فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

ألقى عليه الليل أستاره ... فبات فى لهو وعيش خصيب

ولذه الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب

وأراد يحيى بن خالد أن يوصى بعض كتابه، بما يجب أن يتبع فى معاملة الملوك فقال: " مسألة الملوك عن حالها من سجية النوكى، فإذا قصدت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالنعمة والكرامة، وإذا كان عليلا، فأردت أن تسأله عن حاله، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن الملوك لا تسأل، ولا تشمت ولا تكيف، وأنشد [١٠٧]:

إن الملوك لا يخاطبونا ... ولا إذا ملوا يعاتبونا

وفى المقال لا ينازعونا وفى العطاس لايشمتونا

وفى الخطاب لايكيفونا يثنى عليهم ويبخلونا

فافهم وصاتى لاتكن مجنونا

وقال الجاحظ : قال جعفر بن يحيى للرشيد : يأمير المؤمنين! قال لى أبى يحيى : إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط، وإذا أدبرت فاعط، فإنها لا تبقى، وأنشدنى أبى [١٠٨]:

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف

فإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وقال يحيى شعرا فى السجن بعد أن سأله ابنه : يا أبت بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس. فقال له أبوه : يابنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، ثم أنشا يقول [١٠٩]:

رب قوم قد غدوا فى نعمة زمنا والدهر ريان غدق

سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

وروى أن يحيى بن خالد اشتهى فى وقت من الأوقات فى محبسه وهو مضيق عليه سكباجة[١١٠]، فلم يطلق له اتخاذها إلا بمشقة، فلما فرغ منها سقطت القدر من يدى المتخذ لها، فانكسرت، فأنشد يحيى أبياتا يخاطب بها الدنيا، ومضمونها اليأس وقطع الأطماع[١١١]:

قطعت منك حبائل الآمال وأرحت من حل ومن ترحال

ووجدت برد اليأس بين جوانحى فحططت عن ظهر المطى رحالى

فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبى يادار كل تشتت وزيال

والآن صار لى الزمان مؤدبا فغدا وراح على بالأمثال

وعندما نقل الفضل بن يحيى من محبس إلى محبس آخر أيام نكبتهم، وجدت فى

مصلاه رقعة بها مقطوعة من الشعر الحكمى، يقول فيها [١١٢]:

إن العزاء على ما ناب صاحبه ... فى راحة من عناء النفس والتعب

والصبر خير معين يستعان به ... على الزمان ومن ذا فيه لم يصب

لو لم تكن هذه الدنيا لها دول ... بين البرية بالآفات والعطب

إذا صفت لأناس قبلنا وبهم ... كانت تليق ذوى الأخطار والحسب

ولم تنلها وفيما قد ذكرت أسىً ... وعبرة لذوى الألباب والأدب

ألستم مثل من قد كان قبلكم ... فارضوا وإن أسخطتكم نوبة العقب

نضو الحوادث نضو ليس ينفعه ... شئ سوى الصبر من كد ومن تعب

والله ما أسفى إلا لواحدة ... ألا أكون تقدمت المنون أبى

فكان يؤخر فى ثكلى ويتبعنى ... دعاؤه لى دعاء الوالد الحدب

أما جحظة فقد عاش قرابة مائة عام عرف فى أولها حياة الطبقة العليا من المجتمع من خلفاء وأمراء ووزراء ، وخبر فى أواخرها حياة البؤس والعدم، والشقاء وسوء الحال مما دفعه إلى الاستجداء. ومن تبلورت لديه حكمة تعد خلاصة ما خرج به من هذه الدنيا العجيبة ، فغلب عليه التشاؤم وسوء الظن بالناس والدنيا، وهو أمر طبيعى من رجل تنكر له المجتمع وهو شيخ معوز لا يملك القوت، واضطر إلى الكدية بعد أن كان نديم الخلفاء والوزراء؛ ولذا نراه يقول [١١٣]:

أنفق ولاتخش إقلالا ، فقد قسمت ... بين العباد من الآجال أرزاق

لاينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وأنشد جحظة عبيد الله بن طاهر قوله [١١٤]:

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان فى العالم من يسمع

كم واثق بالعمر ورايته ... وجامع بددت ما يجمع

فقال له عبيد الله بن طاهر : ذنبك إلى الزمان الكمال .

وتظهرحكمة جحظة واضحة حين يقابل الإساءة بالعفو ويصفح عن الجاهل ويكتفى بزيارته كل جمعة، يقول [١١٥]:

وإذا جفانى جاهل لم استجز ما عشت قطعه

وتركته مثل القبو ر أزورها فى كل جمعه

كما يرى أن ذل النفس الأبية يعد من الكبائر ، يقول [١١٦]:

ومن الكبائر ذل من أضحت له نفس كبيرة

ومن سوء ظنه بالأصدقاء الذين خذلوه يقول [١١٧]:

لاتعدن للزمان صديقا وأعد الزمان للأصدقاء

ومن خلال الأبيات السابقة يمكننا أن ندرك أن البرامكة عرفوا كيف يرتفعون بأبياتهم القليلة فى الحكمة عن التقريرية والتعليمية، وبعدوا بها عن الركة اللفظية فجاءت صياغتها صياغة متينة تجعلها سهلة الدوران والحفظ، إضافة إلى ما فى بعضها من طرافة وحقائق خالدة .

رابعاً : الوصف .

الوصف من الفنون الشعرية التى اتسعت دائرتها فى العصر العباسى نظرا لتطور الذوق العام وتطور ما يقع عليه الحس، وكان من الطبيعى أن يهتم به البرامكة فى أشعارهم، فنرى يحيى بن خالد يصف الشيب وصفا رائعا يتميز بالطرافة وعمق الفكرة، فيقول[١١٨] :

الليل شيب والنهار كلاهما رأسى بكثرة ما تدور رحاهما

يتناهبان نفوسنا ودماءنا ولحومنا جهرا ونحن نراهما

والشيب إحدى الميتتين تقدمت أولاهما وتأخرت أخراهما

وعرض الرشيد وردا على الفضل بن يحيى، واقترح عليه أن يصفه، فقال مرتجلا[١١٩]:

كأنـه فـم مـحبوب يقـبله　　فـم الحبيـب وقـد أبـدى بـه خجلا

وافتصد جعفر بن يحيى يوما ووصف الفضل بن يحيى ذلك ، فقال [١٢٠]:

إذا أنـت أسبـلت للباسليق　　عـيونا مـن أجـفانه الـواهيه

رأيت اعتـدالك يبكى دما　　وتضـحك مـن جنـبك الـعافيـه

ويصف جحظة ظهور الورد وتفتحه فكأنه إنسان محبوب يرسل كتبا إلى محبيه وعشاقه يخبرهم بمقدمه، فيقول [١٢١]:

لقد نطق الدراج [١٢٢] بعد سكوته　　ووافـى كتـاب الورد إنى مقبل

وتبدو رقته المتناهية حين يجله ويكبره ويعز عليه أن يراه أو يشمه أراذل الناس وبخلاؤهم فيخاطبه قائلا[١٢٣] :

أعـزز عـلى بأن يشـمك باخـل　　أو أن تـراك نـواظر السقـطاء

وإلى جانب هذه الأمور الذاتية التى تظهر فيها ذاتية الشعراء تميز الوصف عند جحظة بشمول النظرة والاستقصاء والميل إلى السخرية والفكاهة، والنزوع إلى المجون أحيانا. فعندما دعاه صديق له كان يعده بجارية فائقة حاذقة فى الغناء ، فلما حضر أخرج جارية قبيحة، فوصفها جحظة قائلا [١٢٤]:

قـد دعـانا فـأرانا　　خنـفساة خلـف عـود

وتغـنت مـن قـيام　　كالمغـنى مـن قـعود

وغنته مغنية ذات صوت قبيح وشعر أبيض وأسنان صفراء فزدات من عنائه، فقال[١٢٥]:

غنـت فـهاجت حـربى　　وضـاع فيـها طـربى

فشـعرها مـن فضـة　　وثغـرها مـن ذهـب

واهتم جحظة بصفة خاصة - دون أسلافه - بوصف الجانب المادى من الحضارة الجديدة

التى غمرت الحواضر والمدن آنذاك . فاحتل وصف الخمر وما يتصل بها مكان الصدارة بين موضوعات شعره. وهذا أمر طبيعى من رجل كان من الندماء المعروفين فى عصره، فحياته كانت شديدة الصلة بالخمر وثيقة العلاقة بها ، فلا يمكن أن تجتمع صفة النديم وعدم الشرب، كما أنه كان مغنيا، والغناء والخمر متلازمان، أضف إلى ذلك حبه لها وهيامه بها .

ولجحظة قطع كثيرة فى وصف الخمر ومجالسها وروادها وحاناتها، ولا يمكن أن نستقصى كل ما قاله فى هذا البحث الموجز، وسنكتفى بذكر نماذج من هذه القطع التى تضج بالحياة وترخر بالحيوية ويظهر فيها تمرد الشباب وعبثهم .

وخير ما يمثل حياة جحظة الفتية وما فيها من لهو وعبث وصفه لامرأة نصرانية تبيع الخمر وتتهادى فى مشيتها بين الشبان الذين لعبت الخمر برؤسهم، وأمام حيوتها وجمالها الفتان لا يملك هؤلاء إلا أن يقرص أحدهم خديها على حين يجذب الآخرون فضل زنارها، يقول(١٢٦):

وخمـارة من بنـات القسوس ... تبـيع المدامة فـى دارهـا

وجاءت تهادى كقد القضيب ... سقـته الغـوادى بأمـطارهـا

وفى كفهـا قـهوة فى الإنـاء ... وكالنـار لم تغـل فـى نارها

كوجنة مـن هـى فـى كـفها ... ونـكهتـها وقـت أسحارها

فمن قـارص وردتـى خـدها ... ومن جاذب فضـل زنـارهـا

وفى وصف جحظة للخمر تتردد أسماء طائفة من المتنزهات والمرابع التى كان يقصدها عشاق المتعة وطلاب اللهو فى بغداد والبصرة، وهى أسماء حبيبة إلى نفسه، له فيها أشتات من الذكريات، لذا يجد لذته ومتعته فى وصفها ويشعر بطمأنينة ونشوة عند ترديدها فيتحدث عن كركين والقفص وهما من قرى بغداد، فيقول (١٢٧):

يا نسيم الروض بالأســـــ ... ـــحار هيـجت ارتـياحـى

لقرى كركين والقفـــــــ ... ـــص وعـصيان اللـواحى

واستماعى ملح الأصـــــ ـــــوات مـــن قـــوم مـــلاح
أحـــمد اللـــه لـــقـــد مـا ت غبـــوقى واصـــطباحـــى
كـــم ســـرور مـــات لمـــا مـــات أربـــاب الســـماح

ويذكر أيضا البردان، وهى من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها، فيقول (١٢٨):

ادفـــع ورود الـهم عنك بقـــهوة مخـزونة فـــى حانـة الخـمار
جازت مدى الأعمار، فهى كأنها عند المذاق تزيد فى الأعـــمار
يسعى بها خـنث الجـفون منـعم فى خـده مـــاء النضارة جـار
فى رقـــة البـردان بـين مـــزارع محفوفـة ببـنفـــسج وبـــهار
بلد يشـــبه صيـفه بخـريـــــفه رطب الأصائل بـارد الأسـحار

ووصف جحظة (دير الزندورد) وهو فى الجانب الشرقى من بغداد، وأعنابه من أجود الأعناب التى تعصر، فقال (١٢٩):

سقيا ورعيا لديـر الزندورد ومـا يحوى ويجمع مـن راح وغـزلان
دير تدور بـه الأقـداح مترعـــة بكف ساق مريض الطرف وسنان
والعـــود يتبـعه نـاى يواقـعـه والشدو يحكمـه غصن من البان
والقوم فوضى فضا، هذا يقبل ذا وذاك إنســان سوء فوق إنســان

وقد يلجأ جحظة أحيانا إلى الحديث عن الذكريات (فمن عادة المحزون أن يتذكر) ويسترسل فى أمانيه وأحلامه، وينغمس فى الماضى انغماسا يشعر معه بالغبطة والسرور، ويجد فيه عزاء وسلوى، وينسى الحاضر المؤلم الذى يعيش فيه، لذا نراه يحلق على أجنحة الخيال ليزور مواطن لهوه وصباه فيرسم لنا صورا لمجالس الشراب لاتعوزها الحياة، مثلما يفعل الرسام الحاذق فى عنايته بأدق جزئيات الصورة واستكمال جوانبها المختلفة وخطوطها وألوانها، فلا يدع شيئا مهما كان صغيرا دون أن يشير إليه ويبرزه ويفتن فى عرضه وإبراز ملامحه.

فيصف لنا (دير العذارى) الذى يقع على دجلة بين سر من رأى والحظيرة، فيقول[١٣٠] :

ألا هل إلى دير العذارى ونظرة ... إلى الخير من قبل الممات سبيل ؟

وهل لى بسوق القادسية سكرة ... تعلل نفسى والنسيم عليل؟

وهل لى بحانات المطيرة وقفة ... أراعى خروج الزق وهو جميل

إلى فتية ما شتت العزل شملهم ... شعارهم عند الصباح شمول

وقد نطق الناقوس بعد سكوته ... وشمعل قسيس ولاح فتيل

يريد انتصابا للمقام بزعمه ... ويرعشه الإدمان فهو يميل

يغنى وأسباب الصواب تمده ... وليس له فيما يقول عديل

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة ... إلى قرقرى قبل الممات سبيل ؟

وثنى يغنى وهو يلمس كأسه ... وأدمعه فى وجنتيه تسيل

سيعرض عن ذكرى وينسى مودتى ... ويحدث بعدى للخليل خليل

سقى الله عيشا لم يكن فيه عُلقة ... لهمٍّ ولم ينكر عليه عذول

لعمرك ماستحملت صبرا لفقده ... وكل اصطبار عن سواه جميل

وفى قصيدة أخرى يصف لنا مجلسا للشراب ويذكر فيه نهير القاطول المقطوع من دجلة، كما يذكر قرية القادسية التى تقع بين حربى وسامرا، ويقول [١٣١]:

ألا هل إلى الغدران، والشمس طلقة ... سبيل ونور الخير مجتمع الشمل

ومستشرف للعين تغذو ظباؤه ... صوائد ألباب الرجال بلا نبل

إلى شاطئ القاطول بالجانب الذى ... به القصر بين القادسية والنخل

إلى مجمع للطير فيه رطانة ... يطيف به القناص بالخيل والرجل

فجاءته من عند اليهودى إنها ... مشهرة بالراح معشوقة الأهل

وكـم راكـب ظهـر الـظلام مغلس ... إلى قهـوة صـفراء معـدومة المثل

إذا نـفذ الخـمار دنـا بمـبـزل ... تبينت وجه السكر فى ذلك البزل

وكـم مـن صريع لايـدير لسـانه ... ومن ناطق بالجهل ليس بذى جهل

ترى شرس الأخلاق، من بعد شربها ... جديـرا بـبذل المال والخـلق السهل

جمعت بـها شمـل الخلاعـة برهة ... وفـرقت مالا غير مصـغ إلى عـذل

لقـد غنيت دهـرا بقـربى نفيـسة ... فكيـف تراها حـين فارقها مثلى ؟

وهكذا يكون قسم كبير من خمريات جحظة ذكريات وآهات يطلقها وهو فى شيخوخته المحطمة مليئة بأمانى الشيوخ وأحلامهم وضعفهم واستسلامهم، وهى فى مجملها صور حية للمجتمع العباسى فى أيامه حين كان يجور ويقسو ويعربد ويلهو. ولعل أبرز ما نلمحه فى هذه الخمريات أنها خالية من الإسفاف فى المعنى، كما لا نلمح فيها أثر النفس الداعرة التى عرف بها شعراء الخمر فى تهالكهم على القيان والغلمان .

خامسا : التغزل .

عثرت على أبيات قليلة فى التغزل لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ولأبى الحسن جحظة البرمكى، ولا يمكن أن ندرجها فى إطار الغزل العام الذى لايدل على تعلق بامرأة معينة، لأننا نلمس فيها عاطفة مشبوبة وألما دفينا لقلب تحطم على صخرة الهجر والحرمان، وذاق مرارة الحب وكوته ناره .

فقد روى أن جعفر بن يحيى تعشق جارية قبل أن تصبح مقاليد الأمور بأيديهم، ولم يكن معه ثمنها، فقال لأبيه : قد برح بى عشق هذه الجارية ولست أقدر على شرائها وقد وعدتنى مولاتها أن تحبسها إلى أن أمضى إلى بلخ واستميح قرابتى وأعود، فقال له أبوه : امض راشدا، فلما بلغ إلى مكان يقال له " سُرَّبرد" ذكرها فقال :

إذا جـزت حلوانا وجـاوزت آبة ... إلى سربرد فالسلام على الود

رأيت الغنى بعدا فقلت : لعلنى ... أصير إلى قرب الأحبة بالبعد

ولما صار الأمر إلى الرشيد ورد إلى يحيى بن خالد مكانته سأله عن جعفر فعرفه خبره، فأمر بابتباع الجارية وإنفاذ البريد ليرده [١٣٢].

أما جحظة البرمكى فتغزله فى غاية الرقة كما يتميز بصدق العاطفة وتأججها، فيحدثنا عن حبيبته وأثر حبها فى نفسه قائلا [١٣٣]:

ولـى كبد لايصـلح الـطب سقـمها ... من الوجـد لاتنـفك داميـة حـرى

فيا ليت شعرى - والظنون كثيرة - ... أيشعر بى من بت أرعى له الشعرى [١٣٤]

ويبدو أن محبوبته دائمة التمنع أو أنها تتصنع الدلال وتتلذذ بعذابه ولاتجود عليه بوصلها، وعندما طلب منها أن تمن عليه بطيفها يزوره فى المنام، أنكرت عليه نومه، وتعجبت من أمره فكيف ينام وقد وقع أسيرا لحبها، يقول [١٣٥]:

فقلت لها : بخلت على يقظى ... فجـودى فى المنام لمستهام

فقلت لى : وصرت تنام أيضا ... وتطمع أن أزورك فى المنام؟

وكلما ازداد تمنعها ازداد خضوعه واستسلامه، ويتقرب إليها بالدموع، لكنها لا ترق له بل تدعو عليه بأن يزيد الله من عذابه، فيغضب منها، ويصور لنا الصراع بين عقله وقلبه، فيقول [١٣٦]:

يقول لى مالكى، والدمع منحدر ... لا خـفف اللـه رب العرش بلواكا

وإن دعـوت عليه عـند معـتبة ... يقول قلبى له فى السر : حاشـاكا

واستطاع جحظة أن يروضها بعد التيه والأنفه، فزارته خائفة تحت جنح الظلام بعد أن نام الرقباء والحراس، يقول [١٣٧]:

زارنى خائفا وقد جثم الليـ ... ـل ونام الحراس والرصد

جره سـكره وسـاوره الخـو ... ف فـوافى سكران يرتعد

ويصف جحظة زيارة أخرى لحبيبته استمرت حتى الصباح، ولما حانت لحظة الفراق قال لها [١٣٨]:

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه كما لاح ضوء البارق المتألق

شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا فهل لك فى صوت وكأس مروق

فقالت شفائى فى الذى قد ذكرته وإن كنت قد نغصته بالتفرق

ويبدو أن قطيعة حدثت بين جحظة وصاحبته، ثم عاودت الزيارة بعدها فقال[١٣٩]:

بأبى الزائر الذى زار بعد انقطاعه

كشف البدر للورى كشفه عن قناعه

لم أزل طول ليلتى ساهرا فى انخداعه

كلما رمت وصله زدانى فى امتناعه

ثم ولى مودعا حزنى من وداعه

ويشتاق جحظة إلى محبوبته بعد أن رحلت عن بغداد، وأخذ يمنى نفسه بالمدام لعلها تشفى قلبه الظمآن، يقول [١٤٠]:

إذا ما ظمئت إلى ريقه جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه؟ ولكن أعلل قلبا غليلا

وظل جحظة هكذا يعلل نفسه بالخمر فى محاولة للتغلب على فراقها والتظاهر بنسيانها، ولكن دموع عينه فضحت سره وكشفت أمره، يقول[١٤١] :

يامن بعدت من الكرى ببعاده الصبر مذ غيبت عنى غائب

أصبحت أجحد أننى لك عاشق والعين مخبرة بأنى كاذب

ويقول فى موضع آخر [١٤٢]:

رحلتم فكم من أنة بعد زفرة مبينة للناس شوقى إليكم

وقد كنت أعتقت الجفون من البكا فقد ردها فى الرق حزنى عليكم

ولـم يستـطع جحـظة مع هجـرها صـبرا، فـقد خرج قـلبه عن طاعتـه وهام بتلك المحبـوبة، ولا يملك الرجـل سـوى أن يوصـيهم بـه " خير الوصية" يقول(١٤٣):

يـا أيـها الركـب الذيـ ـن فراقهم إحدى البليه

يوصيكم الصب المقيـ ـم بقلبه خير الوصيه

وهكذا يمضى غزل البرامكة فى عفة تامة وفى صياغة جيدة، فلا نجد فيه لفظة ينفر منها الذوق، ولامعنى يخدش الحياء، ولا إفحاشا فى القول؛ لأنه تعبير صادق عن مشاعر حب حقيقية، تظهر فيـه لوعة المحبين ومعاناتهم من سهر ونصب وإحساس بألم الفراق ووحشة التفرد. وقـد تـبدو هـذه الصفة غريبة على رجـل مثـل جحـظة اتـهم فى دينه وأخلاقه وعاش فى عصر ضاق بالمجون والماجنين، ولكنه - فى رأيى - كان حريصا على أن يرتفع بفنه عن الإسـفاف والفحـش فـمر باللحـظات العاطفية المتأججة مرورا عابرا معتمدا على الكناية ليترك للمتلقى جرية التـأويل دون أن يقيده بمعنى خاص .

سادسا : الهجاء

من الطبيعى أننا لانجد هجاء للبرامكة الوزراء؛ لأنهم ترفعوا بفنهم عن فاحش القول بصفة عامة، كما أنهم لم تكن لديهم الأسباب الدافعة إلى الهجاء نظرا لمكانتهم الاجتماعية وهيبتهم فى نفوس الناس، حتى إذا جهل عليهم أحد لم يقابلوا غيه وسفهه إلا بالعفو ومعالجة الموقف بالحكمة.

فقد روى أن يحيى بن خالد وعد رجلا مرارا ولم يف، فهجاه الرجل برقعة رفعها إليه يقول فيها :

البرمكيـون لايوفون ما وعـدوا والبرمكيات لايخلفـن ميعاد

فلما قرأها يحيى اغتم وقال : وددت أنى افتديت هذا البيت بما أملك (١٤٤). كما أنهم لم يسلموا من ألسنة بعض الشعراء كأبى نواس والعتابى وأبى الهول الحميرى والأصمعى، الذين سددوا إليهم طعنات قاتلة من مر الهجاء، فوصفوهم بالبخل واتهموهم بالزندقة ووصموهم بالإلحاد والكفر، ولكن مكانتهم الاجتماعية ورجاحة عقولهم وسعة مداركهم

وأفكارهم، وتفهمهم للأمور وسياستها بحنكة واقتدار، كل ذلك منعم من المجاهرة بمعاداة الهجائيين أو محاولة التفكير فى الانتقام منهم ولو بألسنتهم .

أما جحظة البرمكى فقد بسط لسانه فى بعض الناس؛ لأنه لايملك من وسائل دفع الأذى ومهاجمة الخصوم غيره. وجاء هجاؤه - فى معظمه - من النوع الاجتماعى الذى يهدف إلى تقويم اعوجاج الخصوم. فتراه يهجو جماعة بالبخل وتجعد الكف على حين يهجو آخرين بالتنكر له ونسيانه، وأحيانا يهجو المجتمع كله؛ ليطهره من آفاته، وكأنه يشعر فى قرارة نفسه أن المجتمع مسئول عما لحقه من ضر وبؤس، وأن الناس كان بوسعهم إنقاذه من هوة الكدية التى انحدر عليها، لو لم تنقلب الموازين ويسمح بارتفاع شأن الجاهل الخامل؛ ليحتل أرقى المناصب، ويرفل فى أثواب النعيم، ويمرح فى بحبوحة من العيش، بينما الأديب الفنان تضيق به الحيل وتصل به الحال إلى الاستجداء .

فنرى جحظة بعد أن أعوزته الحيلة وسدت فى وجهه سبل العيش يحاول أن يتكسب عن طريق غنائه وطنبوره، ويعجب الناس من براعته فى فنه، ولكنهم لايجودن له بشئ سوى قولهم أحسنت، فيسخر من أحد سامعيه قائلا [١٤٥]:

لى صديق مغرى بقربى وشدوى ... وله عند ذاك وجه صفيق

قوله - إن شدوت - أحسنت زدنى ... وبأحسنت لايباع الدقيق

ومن الأسباب الرئيسية فى تشنيع جحظة على الهيئة الاجتماعية التى يعيش فى وسطها شعوره الشديد بالتعاسة والبؤس فى شيخوخته بعد أن كان نديما بارزا ومغنيا على الطنبور لا يشق له غبار ، ومن ذوى المكانة فى بلاط الخلفاء، مع ولعه بالجود والسخاء وهو سليل البرامكة الذين سجل التاريخ مآثرهم وملئت الدفاتر بأحاديث سخائهم وكرمهم. فرجل كهذا عرف حياة الغنى والثراء يصعب عليه أن يجد نفسه فى يوم من الأيام لا يملك قوت يومه، ويسأل الناس فيردونه بعنف، هذا سبب، والسبب الآخر أن جحظة لم يكن إنسانا عاديا من عامة الناس بل كان فنانا وشاعرا رقيق الإحساس مرهف الشعور، ولذلك فما يجده الفرد العادى من الأمور الهينة اليسيرة قد يراه جحظة من أكبر الكبائر [١٤٦]. فهو يقول[١٤٧] :

تعجبت إذ رأتنى فـوق مكسـور　　من الحمير عقير الظهر مضرور

من بعد كل أمين الرسغ معـترض　　فى السير تحسبه إحدى التصاوير

فقلت لاتعجبى منـى ومـن زمـن　　أخنـى عـلـى بتـضييق وتقـتير

بل فاعجبى من كلاب قد خدمتهم　　تسعين عاما بأشعارى وطنبورى

ولم يكن فى تـناهى حـالهم بهم　　حر يعـود عـلى حـالى بتغيـير

ويضطر جحظة إلى الإفحاش حين يجد أن المهجو لايرعوى عن غيه إلا بهذه الطريقة، يقول(١٤٨):

ولـى صـاحب زرته للسـلا　　م فـقابلنى بالحجـاب الصـراح

وقـال تغـيب عـن داره　　لخـوف غـريم ملـح وقـاح

ولو كـان عـن داره غائـبا　　لأدخلنـى أهـلـه للنكـاح

ويبدو من شعر جحظة أن بذل الطعام يعد من أصعب الأشياء وأشقها على نفوس معاصريه، مع أنهم - فى الغالب - من عليه القوم؛ لذلك كانوا عرضة للسانه، وهدفا لسهام نقده وسخريته، يقول (١٤٩):

وقائـلة ما دهـى ناظريـك　　فقلت رويـدك إنـى دهيت

شققت دجاجة بعض الملوك　　فما زلت أصفع حتى عميت

ويقول فى موضع آخر(١٥٠) :

لما حجبـت ببـاب دا　　رك والدهور لها تشاكل

أشرعت سير حميرتـى　　وعلمت أنك كنت تاكل

فهو دائما ينعت البخيل بطائفة من الصفات التى تدل على بخله وشحه كأن ينعته بالتهرب كما مر بنا أو ينعت حجابه بالشراسة والقسوة كما فى قوله(١٥١):

قلـت للحـاجب لمـا　　ردنـى عنـه بجـهده

وتـــألى أنـــه قـــدنا　　م مـــن إدمـــان كـــده

أنعاسا نام رب البيـــ　　ـــت أم نـــام لعبـــده

وأحيانا يصف البخيل بالكزازة حين يسب غلمانه أمام الضيوف، يقول[١٥٢] :

إن كنت تهوى أن أزو　　رك أو حننت إلى الزياره

فـدع الشتيمة للغـلا　　م إذا دنوت من الغضاره

وإذ تنافس الناس فى الجود وحاول أحدهم أن يهز البخيل للكرم ارتعدت فرائصه، يقول[١٥٣]:

إذا ذكر الناس التطول أرعدت　　فرائصه خوفا لذكر التطول

وفى هجاء جحظة للبخلاء ووصفه لهم يمكننا أن نلاحظ ظاهرتين بارزتين : أولهما المبالغة فى تصوير حركات البخيل وسكناته وتجسيمها، وثانيتهما السخرية من هذا البخيل حتى أننا لانملك أنفسنا من الضحك فى كثير من الأحيان .

وهاتان الظاهرتان متداخلتان، وكل واحدة منهما تكمل الأخرى وتزيد فى وضوحها وجلائها .

فهو حين يصف حركات البخيل على طعامه وشدة مالحقه من أذى لاختفاء طعامه فى بطون مدعويه يتعمد المبالغة فى وصفه، والتهويل فى إظهار مشاعره، ويضخم أفعاله ويجسمها كى يمعن فى السخرية منه، ويبغّض إلينا فعله فى إطار من الضحك يخفى وراءه نقده واستنكاره لهذه الفئة الشحيحة من أغنياء المجتمع، يقول[١٥٤]:

لنا صاحب من أبرع الناس فى البخل　　يسمى بفضل، وهو ليس بذى فضل

دعانى كما يـدعو الصـديق صديقه　　فجئت كـما يـأتى إلى مثـله مثـلى

فلـــما جلســـنا للغـداء رأيـــته　　يرى أنمـا من بعـض أعضائه أكـلى

فيغـتاظ أحـيانا ويشـتم عـــبده　　فـأعلم أن الغيظ والشـتم مـن أجلى

أمـــد يـدى سـرا لآكـــل لقمـــة فيلحـظنى شـزرا فأعـبث بالبـقل

إلـى أن جـنت كفـى عـلى جـنايـة وذلك أن الجـوع أعـدمنى عقـلى

فأهـوت يمينـى نحـو رجـل دجـاجة فـجرت لها رجـلا وجـرت يدى رجلى

فهذه الأبيات ترسم صورة دقيقة واضحة للصراع بين البخيل وجحظة من ناحية، وبين الشره الأكول ونفسه من ناحية أخرى، فواضح أن البخيل هو الذى دعا جحظة إلى مائدته ومع ذلك فقد السيطرة على أعصابه حين شاهد ما فعله جحظة بطعامه فراح يشتم عبده تارة وينظر إلى جحظة شزرا تارة أخرى، وجحظة يصبر ويدارى، ولكن الجوع لايرحم، فمعدته خاوية وأمعائه تتلوى، فلم يشعر إلا ويده تهوى نحو رجل دجاجة فيبلغ الغضب بصاحب الدعوة منتهاه، فينهال على جحظة ويسحبه من رجله، ويلقيه خارج منزله.

كما تتضح السخرية فى قول جحظة : " أمد يدى سرا لآكل لقمة" وفى نعته لصاحب الدعوة بأنه : " يرى أنما من بعض أعضائه أكلى " . أما المبالغة فتظهر واضحة فى قوله : " أن الجوع أعدمنى عقلى" وقوله : فأهوت يمينى نحو رجل دجاجة" .

والحقيقة أن مبالغات جحظة وسخريته ضرورية لاستكمال الجوانب الفنية لصورة البخيل التى يرسمها؛ لأنه يقوم بنقل شخصياته من الواقع الحقيقى إلى الواقع الفنى، وهذه المبالغات تجعلها حية ناطقة متحركة، فعندما كسر رغيفا لأحد البخلاء تغيرت سبل المودة وصارت بينهما ملاحاة كتلك التى حدثت بين جرير والفرزدق، ويقول [١٥٥]:

ولمـــا كسـرت لـه جـــردقا ومن ذا يطيق له كسر جـردق؟

تغير لى عـن جميـع الـوداد فصـار جريرا وصرت الفرزدق

وأحيانا يتظاهر البخيل بالجود والكرم فيدعو الناس إلى طعامه، ولكن طبيعته المتأصلة فيه سرعان ما تكشف حقيقته من خلال كلمة عابرة أو حركة غير مقصودة، فيصف لنا جحظة أحد أصدقائه حين دعاه لأكل قطائف، يقول [١٥٦]:

دعانى صديق لى لأكل القطائف فأمعنت فيـها آمنـا غير خائف

فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه رويدك، مهلا، فهى إحدى المتالف

فقلت له : ما إن سمعنا بهالك ينادى عليه : ياقتيل القطائف

فصديق جحظة يتظاهر بالكرم ولايريد الاعتراف ببخله، ولكن إقبال جحظة بشراهة على قطائفه أثار فى نفسه الفزع، فهاج وماج، ولم يستطع أن يسيطر على أعصابه، فصرخ فى جزع: " رويدك مهلا" وهما لفظتان تدلان على أن الرجل أخذ على حين غرة فادعى الخوف والإشفاق على جحظة من القطائف، فأجابه ساخرا بأنه لم يسمع بشخص مات بسبب أكلة قطائف، وهكذا ظهر الرجل تحت ستار خوفه وإشفاقه على صحة جحظة.

ومما سبق يتضح لنا أن جحظة البرمكى استعان فى هجائه بكل معارف عصره وبجميع عناصر الفكاهة والهزل الشائعة بين الناس؛ لذا تراوحت أهاجيه بين الهبوط إلى درجة السباب والفحش والابتذال، وبين الارتفاع من الناحية الفنية إلى درجة التصوير الساخر الممتع الذى يدل على طاقة فنية مبدعة وذهنية ساخرة، وتعتمد على فن أصيل وروح مرحة ضاحكة تترفع أحيانا عن السب الرخيص والاتهامات الدنيئة.

سابعا : الاعتذار.

شعر البرامكة فى الاعتذار لايعدو أن يكون مجموعة من الأبيات القليلة قالها يحيى بن خالد وجحظة البرمكى، وهى لاتقل فى جودتها عن بقيه أشعارهم، ولكنها إن دلت على شئ فإنما تدل على تسامح أخلاقهم وحسن معاشرتهم لإخوانهم وأصدقائهم .

فلما وزر يحيى بن خالد كان له صاحب شاعر يحضر مجلسه فمرض، فلم يفتقده الوزير، فكتب إليه معاتبا :

أيهذا الأمير أكرمك اللـــ ـــه وأبقاك لى بقاء طويلا

أجميلا تراه أصلحك اللـــ ـــه لكيما أراه أيضا جميلا

إننى قد أقمت عنك قليلا لا ترى منفذا إلى رسولا

... الخ

فرد عليه يحيى معتذرا على عدم زيارته فى مرضة :

دفع الله عنك نائبة الدهـــــ ـــر وحاشـــاك أن تكون عليلا

أشـهد الله مـا علمت ومـــا ذا ك من العـذر جائـرا مقـبولا

ولـعلى لو قـد علمت لعـــاود تـــك شـهرا وكـان ذاك قليـلا

فاجعـلن لـى التعلق بالعـــذ ر سبـــيلا إن لم أجد لى سـبيلا

فقديما ما جاء ذو الفضل بالفضـ ـــل وما سامح الخليل الخليلا [١٥٧]

واعتذر جحظة لأحد أصدقائه عن تأخره عليه فى الزيارة، فقال [١٥٨]:

فإن يك عن لقائك غاب وجهى فلم تغب المودة والإخـــــاء

ولم يزل الثـــناء عليك يـترى بظهر الغيب يتبعه الثنـــاء

ويعترف بفضل أصدقائه عليه ويعتذر عن تقصيره إذا كان مقصرا فيقول [١٥٩]:

ومالى حق واجب غير أننـى إليكم بـكم فى حاجتى أتوسل

وبعد، فهذا جل ما عثرت عليه من شعر البرامكة متناثرا فى ثنايا المصادر وقد قيل فى مناسبات أو موضوعات مختلفة، وعلى الرغم من قلتها تقفنا على ما كان يتمتع به كل منهم من موهبة شعرية ناضجة ومقدرة جيدة على قرض الشعر وإنشاده ستتضح لنا جلية عند بيان قيمة هذا الشعر وأهم ظواهره الفنية.

الظواهر الفنية فى شعر البرامكة:

شعر البرامكة يغلب عليه الشكل المقطعى، وهو فى معظمه صورة من شعر الكتاب المترسلين، الذين لم يتقيدوا بما تقيد به الشعراء المنقطعون للشعر وحده. ومع ذلك فقد تميز شعرهم بلطف المعانى، وحلاوة الألفاظ، مع الابتعاد عن التكلف، أو الإسراف فى الصنعة، بالإضافة إلى ما يتضمنه من إحساس صادق، وما يحتويه من مشاعر حية، حيث لم يرد به قائلوه تكسبا، أو ينظمونه ممالأة وتملقا لبعض الحكام، على الرغم من قسوة الظروف التى تعرضوا لها.

ولعلنا نلاحظ تلك الروح المتشائمة اليائسة التى تسود معظم أشعارهم، وتجلت بشكل واضح فى بقية ما جاءنا منها، فشاع فيها الزهد فى الحياة، والدعوة إلى عدم الركون إليها أو التمسك بزخارفها، وارتفع فيها صوت التحذير منها، ومن زينتها الفانية وعرضها الزائل.

كما أن شعرهم تغلب عليه النزعة الذتية، ونقصد بها العكوف على النفس وتحليلها، ووصف المشاعر فى صراحة ووضوح، وصوغ الأحاسيس فى حرارة وصدق. كما تغلب عليه النزعة الواقعية، أى أن شعرهم كان صدى قويا لحياتهم.

وبما أن الإنسان لايتلقى تأثير الشئ الجميل مجزءا على دفعات، كما أنه لايمكن أن ينظر إلى الشعر من ناحية محتواه فحسب، ينبغى لنا أن نعرض فى الصفحات التالية للظواهر الفنية فى الشكل الفنى، لأن الشعر صورة عامة يتلبس فيها الشكل بالموضوع ويلتحمان فى إطار هو الشعر نفسه بحيث لا يمكننا إدراك ما فيه من جمال إلا وهو على تلك الحالة.

فمن ناحية الألفاظ اهتم البرامكة بألفاظهم اهتماما بالغا، وبذلوا قصارى جهدهم فى تنقية شوائبها واطراح كل ما من شأنه تعكير موسيقاها اللفظية، فاستبعدوا كل لفظة ثقيله على اللسان أو تنفر منها الآذان، كما استبعدوا حروف الروى الثقيلة كالزاى والشين والغين وغيرها.

وتبدو قدرتهم الفنية وإحساسهم المرهف فى حسن اختيار الألفاظ الملائمة لما يعبرون عنه من مختلف المعانى وأنواع العواطف. فكل لفظة فى موقعها معبرة موحية بالمعنى المراد، ولو حاولنا استبدال لفظة بأخرى ترادفها لأطحنا بشطر عظيم من جمال القول ورونقه. فإذا تأملنا قول يحيى بن خالد فى محنته وهو يستعطف الرشيد ويشرح له الحالة التى آلوا إليها، نجده يختار ألفاظه بعناية فائقة حتى أنه يقتبس من القرآن صياغته، يقول (١٦٠):

إن البرامكة الذيـــ ـــن رموا لديك بداهيـه

صفر الوجوه عليـــهم خـلع المـــذلة باديـــه

فكـأنـــهم مما بـــهم أعجـاز نخـل خـاويـــه

فلن نجد للدلالة على الهوان والذل أحسن من اصفرار الوجوه وأعجاز النخل الخاوية.

وإذا تأملنا أيضا قول حجظة[١٦١] :

فالجهل يضطهد الحجى والرأس يعلوه الذنب

فلن نجد ألفاظا تعبر عن انقلاب المعايير أفضل من هذه وإذا تأملنا قوله[١٦٢] :

قد دعانا فأرانا خنفساة خلف عود

نجده يهجو مغنية ويريد أن ينقل للمتلقى قبحها ودمامتها فيختار لفظة مفردة " خنفساة" ليثير فينا عاطفة الاشمئزاز والتقزز .

وعندما عاتب الوزير ابن مقله وكانت بينهما صداقة قبل الوزارة، ويقول [١٦٣]:

قل للوزير - أدام الله دولته - اذكر منادمتى والخبز خشكار

فكلمة " خشار" تغنى عن كلام كثير يمكن أن يقوله من يريد أن يذكر شخصا بأيام الفقر والجوع والحرمان والفاقة. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون هذه الدقة مصادفة طارئة بل هى ثمرة الطبع الموهوب والذوق المصفى .

وأحيانا يعتمدون على تكرار بعض الألفاظ أو طائفة من المعانى إذا أعجبتهم كقول يحيى بن خالد [١٦٤]:

وحق الله إن الظلم لوم وإن الظلم مرتعه وخيم

أو قوله على لسانه فاطمة زوجته[١٦٥]:

من لى وقد غضب الزما ن على جميع رجاليه

وقوله جحظة[١٦٦] :

لقد غضب الزمان على أناس فأبلاهم بأولاد الزناء

وقوله[١٦٧] :

أبا حسن أنصف فأنت محكم ولا تقربن الظلم فالظلم مظلم

وأحيانا يعتمدون على الاستفهام المراد به التعجب أو الاستنكار و النفى . كقول

جحظة[١٦٨]:

فقالت لى : وصرت تنام أيضا وتطمع أن أزورك فى المنام؟

أو قوله [١٦٩]:

وأين المدامة من ريقه؟ ولكن أعلل قلبا غليلا

أو قوله[١٧٠] :

ولما كسرت له جردقا ومن ذا يطيق له كسر جردق؟

وأحيانا يتوسعون فى حذف الهمزة بعد المد أى تسهيلها، فنجد فى الشعر المنسوب للفضل بن يحيى (الأحيا) بدلا من (الأحياء) يقول [١٧١]:

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلا نحن فى الأموات فيها ولا الأحيا

بل نجدهم يتوسعون فى حذف الهمزة عموما مثل (تاكل) بدلا من (تأكل)كما فى قول جحظة [١٧٢]:

أشرعت سير حميرتى وعلمت أنك كنت تاكل

أما من ناحية الموسيقا فقد اهتموا بموسيقا شعرهم وحرصوا على تجويدها ولم يحاولوا الخروج على النظام القديم فى الوزن، فتراهم يستخدمون البحور ذات التفعيلات الكثيرة تامة ومجزوءة، ويعتمدون على التصريع فى معظم قصائدهم ومقطعاتهم، كقول يحيى بن خالد[١٧٣]:

قطعت منك حبائل الآمال وأرحت من حل ومن ترحالى

وقول الفضل بن يحيى [١٧٤]:

إلى الله فيما نابنا نرفع الشكوى ففى يده كشف المضرة والبلوى

وقول جحظة [١٧٥]:

دعانى صديق لى لأكل القطائف فأمعنت فيها آمنا غير خائف

واهتموا أيضا بالموسيقا الداخلية معتمدين على جرس الألفاظ وتكرار حروف بعينها كقول يحيى بن خالد [١٧٦]:

تنام ولم تنم عنك المنايا　　تنبه للمنية يانئوم

أما المحسنات اللفظية كرد الأعجاز على الصدور والازدواج والطباق والمقابلة والجناس والاعتراض فقد وردت كثيرا فى شعرهم دون تكلف،حتى أننا لانشعر بها إلا إذا توقفنا عند البيت وتأملنا ألفاظه جيدا، وعندئذ نتبين لنا براعتهم، وهى براعة تحملنا على الظن بأنهم لم يبذلوا فى سبيلها جهدا ولاقصدوا إليها قصدا. وسأكتفى بعرض نماذج من شعرهم تكفى للدلالة على أن كثرتها ليست شيئا عارضا فى شعرهم. فمن أمثلة رد الأعجاز على الصدور قول جحظة [١٧٧]:

قوم أحاول نيلهم فكأنما　　حاولت نتف الشعر من آنافهم

وقوله [١٧٨]:

وضنوا بالعيادة وهى أجر　　كأن عيادتى بذل الطعام

وقوله[١٧٩] :

رأيت المجد إحسانا وجودا　　فصار المجد آجرا وجصا

وقوله[١٨٠] :

قوله : إن شدوت - أحسنت زدنى　　وبأحسنت لايباع الدقيق

ومن أمثلة الازدواج قول جحظة [١٨١]:

فمن قارص وردتى خدها　　ومن جاذب فضل زنادها

ومن أمثلة الطباق والمقابلة قول يحيى بن خالد [١٨٢]:

سكت الدهر زمانا عنهم　　ثم أبكاهم دما حين نطق

وقوله[١٨٣] :

فـبادر الليـــل بمـا تشـتهى ... فـإنما الليـل نـــهار الأريـــب

وقوله (١٨٤):

والشيب إحدى الميتـتين تقدمت ... أولاهـما وتأخـرت أخـراهما

وقول الفضل بن يحيى (١٨٥):

خرجنا من الدنيا ونحن مـن أهـلها ... فلاتحن فى الأموات فيها ولا الأحيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت ... وإن قبحت لم تحتبس وأتـت عجـلى

وقوله (١٨٦):

على الله إخلاف الذى قـد بذلتـه ... فـلا مبق لى بخلى ولا متلفى بذلى

أرونى بخيلا نـال مجـدا ببخـله ... وهـاتوا كريما مات من كثرة البـذل

وقوله (١٨٧):

رأيـت اعتـدالك يبـــكى دمـا ... وتضـحك مـــن جنـبك العافـــيه

وقول جعفر بن يحيى (١٨٨):

رأيت الغنى بعداً فقلت : لعـلنى ... أصـير إلـى قـرب الأحـبة بالبـعد

وقول جحظة (١٨٩):

فإن مـرضوا، وللأيـام حـــكم ... سيـنفذ فى الكبـير وفـى الصـغير

وقوله (١٩٠):

أجحظة إن تجزع على فقد مـعشر ... فقدت بـهم من كان للكـسر يجبر

وأصبـحت فى قوم كـأن عظامهم ... إذا جئتـهم فـى حـاجة تنـكسـر

وقوله (١٩١):

لاينـفع البـخل مع دنـيا مولـية ... ولايـضر مـن الإقـبال إنـــفاق

وقوله [١٩٢]:

أنا الذى حب أهل البيت أفقره فالعدل مستعبر والجود مبتسم

ومن أمثلة الجناس قول يحيى بن خالد[١٩٣]:

إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

وقوله جحظة [١٩٤]:

أبا حسن أنصف فأنت محكم ولا تقربن الظلم فالظلم مظلم

وقوله [١٩٥]:

فيا ليت شعرى - والظنون كثيرة - أيشعر بى من بت أرعى له الشعرى

ومن أمثلة الاعتراض قول جحظة [١٩٦]:

قل للوزير - أدام الله دولته - اذكر منادمتى والخبز خشكار

وقوله [١٩٧]:

فياليت شعرى - والظنون كثيرة - أيشعر بى من بت أرعى له الشعرى

وقوله [١٩٨]:

قوله - إن شدوت - أحسنت زدنى وبأحسنت لايباع الدقيق

وقوله [١٩٩]:

فقال - وقد أوجعت بالأكل قلبه - رويدك مهلا فهى إحدى المتالف .

فقد يكون الغرض من الاعتراض الدعاء أو التوكيد أو المدعبة أو غيرها، وهو يكسب المعنى المراد قوة وتوكيدا .

أما من ناحية الصورة الفنية التى تعتمد على الخيال كالاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز، فهم يلجأون إليها حين يشعرون أن الحقيقة لاتنهض بالمعنى المراد ولاتعبر عن العاطفة المقصودة. وصورهم - فى الغالب - من النوع التقليدى البسيط الذى لانلمس فيه تعقيدا أو

غموضا أو جنوحا فى الخيال. فيعتمد يحيى بن خالد على الألوان والأشياء المادية المحسوسة فى رسم صورة الذل والهوان الذى حاق بهم بعد نكبتهم ، يقول[٢٠٠] :

إن البرامكة الذين ... رموا لديك بداهيه

صفر الوجوه عليهم ... خلع المذلة باديه

فكأنهم مما بهم ... أعجاز نخل خاويه

ويصور اليأس الذى حل به بالسحائب التى أظلته ولم يستطع الخلاص منها، ثم يصور تفرده فى هذه الدنيا وخاصة إذا خذله المأمون وتقاعس عن الوقوف بجانبه بأن الأيام ستأكله مثلما يأكل الجراد كل شئ أخضر، يقول [٢٠١]:

ما أظلت سحائب اليأس إلا ... كان فى كشفها عليك اعتمادى

إن تراخت يداك عنى فواقا ... أكلتنى الأيام أكل الجراد

ويشخص الدهر فى أكثر من موضع فيجعله يسكت وينطق عندما يسكت يتغافل عنهم، وعندما ينطق ينال منهم، يقول [٢٠٢]:

سكت الدهر زمانا عنهم ... ثم أبكاهم دما حين نطق

أو يجعله مؤدبا له يأخذ عنه الحكمة والموعظة ، يقول [٢٠٣]:

والآن صار لى الزمان مؤدبا ... فغدا وراح على بالأمثال

ويشبه الفضل بن يحيى الورد فى تفتحه وحمرته بفم المحبوب عندما يقبله الحبيب وتعلوه حمرة الخجل، ويقول [٢٠٤]:

كأنه فم محبوب يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

ويشبه جحظة البخلاء حينما يستمحيهم للعطاء كأنه حاول نتف الشعر من آنافهم، وهى صورة توحى بشدة الألم الذى يشعر به هؤلاء، ويقول[٢٠٥] :

قوم أحاول نيلهم فكأنما ... حاولت نتف الشعر من آنافهم

ويشبه نفسه الأبية فى ترفعها وعزتها بالسماء حين تعلو على السماء، فيقول[٢٠٦] :

ولى نفـس أبت إلا ارتفـاعا فـأضحت كالسـماء على السـماء

ويعتمد على التشبيه المقلوب حين يشبه الصباح عند إشراقه وتألفه بوجه الحبيبة، يقول[٢٠٧] :

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه كـما لاح ضـوء الـبارق المتـألق

شبيهك قد وافى ولاح افـتراقنا فهـل لك فـى صـوت وكـأس مروق

ويصور الساقية النصرانية وهى تتهادى فى مشيتها بين الشبان السكارى بغضن البان وهو يتمايل حين تسقط عليه غوادى المزن، يقول [٢٠٨]:

وجاءت تهادى كقـد القضيب سـقتـه الغـوادى بأمـطارهـا

وحين يريد أن يثير فينا عاطفة البغض والاشمئزاز من مغنية شمطاء ينعتها فيقول: إن شعرها من فضة (أبيض) وأسنانها من ذهب (صفر) [٢٠٩]:

فشـعرها من فـضة وثـغرها مـن ذهـب

وحين يصور ما كان يفعله رفاقه السكارى بعيدا عن أعين الرقباء فى خلواتهم بمرابع اللهو والقصف، ويقسمهم إلى ضروب شتى، فأحدهم يحاول أن يقف على قدمه ولكنه يرعش ويميل فلا يستطيع النهوض، يقول [٢١٠]:

يريد انتصابا للمقـام بزعمه ويرعشـه الإدمـان فهـو يميـل

ومنهم من يعربد ويهم بالكلام ويحاول أن ينطق ولكنه عاجز عن الإفصاح فهو لا يستطيع أن يدير لسانه فى فمه فلا جدوى مما يفعله، ومنهم العاقل الذى إذا لعبت الخمر برأسه وأفقدته عقله بالجهل يقول [٢١١]:

وكـم من صـريع لايدير لسـانه ومن ناطق بالجهـل ليس بذى جهل

ويصور جحظة السكارى حين يخرجون - تحت تأثير الخمر وجمال المكان - عن صوابهم

بأنهم فى حالة فوضى يأتون الموبقات والفواحش ويضربون بقواعد الأخلاق عرض الحائط كما حدث فى (دير الزندورد)، يقول (٢١٢):

والقوم فوضى فضا، هذا يقبل ذا وذاك إنسان سوء فوق إنسان

فالصورة الفنية عند البرامكة على هذا النحو الذى رأينا- لها هدفها المرسوم بدقة فى توضيح الفكرة التى يعبرون عنها أو نقل الإحساس الذى يشعرون به، وقد وفقوا فى الملاءمة بين أخيلتهم وعواطفهم، واختاروا ألفاظهم بعناية لتناسب مختلف العواطف دون حاجة إلى كد الذهن وإجهاد العقل فى تأمل أبعاد الصورة، فهم لم يحلّقوا بعيدا ولم يجنحوا بخيالهم كما فعل معظم معاصريهم .

الخاتمة

وبعد فهذه حصيلة ما عثرت عليه من النتاج الشعرى للبرامكة موزعا على أغراضه المختلفة، موثقا كل نص منها، حتى أضع بين يدى الدراسين والقراء جزءاً من تراث هذه الأسرة الأدبية المبدعة التى هام رجالها بالأدب والأدباء وشغفوا بالثقافة والفكر وتفوقوا فى مجال سياسة الدولة العباسية فترة غير قصيرة كما تفوقوا فى إدارة شئونها الثقافية والأدبية. ولم يكتفوا بعملية الاهتمام والتشجيع فحسب، بل أسهموا أيضا إسهاما مباشرا بالعديد من المحاولات الإبداعية الموقفة فى مجال الشعر والتذوق الأدبى، فضلا عن الكتابة التى لم يتطرق إليها بحثنا .

ورغم ضياع معظم تراثهم الأدبى بسبب نكبتهم وحقد الوزراء الذين تولوا الوزارة على أشلائهم فقد تكلفت هذه الدراسة بجمع أشعارهم وتوثيقها والوقوف عليها بالدراسة والتحليل إيمانا منا بأن البرامكة كانوا ظاهرة حضارية إسلامية فريدة، فبالرغم من انتمائهم للفرس فقد استعربوا ثقافة وفكرا، ولسانا وعقلا، وهذه الثقافة هى التى مهدت لهم الطريق، ومكنتهم فى النهاية من اعتلاء كرسى الوزارة، وهى أيضا التى جعلت أصحاب الطبقات والتراجم يعدونهم فى مصاف الأدباء والشعراء، واهتموا بالترجمة لهم، واعترفوا صراحة بقدرتهم الفنية الإبداعية، وأظهروا فضلهم فى إثراء الحياة الأدبية والثقافية فى العصر العباسى .

ثبت المصادر والمراجع

(١) تاريخ الطبـرى (تـاريخ الرسـل والملـوك) لأبى جعـفر محمد بن جرير الطـبرى، تحـقـيق مـحمد أبـو الفضـل إبراهيم، ٥٦٢/٦، الطبـعة الرابعـة دار المـعارف بمـصر(د/ت). وراجـع أيضـا الكامـل فى التـاريخ لابن الأثير٥/٥٣ طبعة دار صادر بيروت ١٩٧٩م.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٣٩ طبعة دار القلم بيروت ١٩٨٩م.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، تحقيق محمد محيى الدين عبـد الحميد٣/٢٨٤، الطبـعة الرابعة بمطبـعة السعادة بالقاهـرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، الفخـرى فى الآداب السلطانـية والدول الإسـلامية تأليـف محـمد بـن على بـن طباطبا المعروف بابن الطقطقى ١٥٣، ١٥٦نشر دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ ١٩٦٠ م.

(٤) وفـات الأعيان وأنبـاء أبنـاء الزمـان لابـن خلكان، تحقـيق د/ إحسان عـباس ٢١٩/٦ وما بعدها، طبعة دار الثقافة بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

(٥) المصدر نفسه ٢١٩/٦، بـلدان الخـلافة الشرقـية، تأليف : لى لسترنج، ترجـمة: بشـير فرنسيس، كوركيـس عـواد، الطبعة الثانـية مؤسـسة الرسـالة بيروت ١٩٨٥م وذكـر أن النـوبهار بيت نار من أكـبر بيوت المجـوس صـ ٤٦٣. ثم عـاد مرة أخرى وقال: " وفـيه كثير من أصنام" صـ ٤٦٤. وبلـخ إحدى مقاطعات خراسان حينما قسـمها المسلمون إلـى أربعـة أرباع عرف كـل ربع باسم قصـبة، وهى نيسابور، ومرو، وهـراة، وبلـخ، وهـى اليـوم تـعد مـن أجل مـدن أفغانستان الحديثـة، وفيها المزار المشهور المعروف بـ "مزار شريف" راجع : لى لسترانج ٢١،٤٢٤،٤٦٤ .

(٦) سياسـت نامه تأليـف : نظام الملك الطوسـى. ترجمة يـوسـف حسـين بكار صـ ٢١٨، الطبعة الثانية نشر دار الثقافة الدوحة قطر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٧) ابن خلكان ٢١٩/٦.

(٨) البرامـكة فـى ظـلال الخلفاء، تأليـف محمد أحمـد برانـق صـ ١١طبـعة دار المعـارف بمصر (د/ت) .

(٩) المعـارف، لابـن قتيبة، تحقـيق ثـروت عـكاشة صـ٣٨٢، الطبـعة الرابعة بدار المعارف بمصر ١٩٦٩ ذخائر العرب (٤٤) .

وذكر الجـاحظ البيـتين ولم ينسـبهما. راجـع : البيـان والتبيين، تحقيق حسـن السندوبى ٩٦٢/٣، الطبـعة الأولى نشر دار إحياء العلوم - بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(١٠) الفهرست لابن النديم صـ ٤٨٧، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة (د/ت)

(١١) ابن الطقطقى صـ ١٩٧.

(١٢) الرشـيد والبرامكة لأنطون ربـاط اليـسوعى، صـ ٥ وما بعدها، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٤م .

(١٣) من تاريخ الإلحاد فى الإسـلام تأليف عبـدالرحمن بـدوى صـ ٣٨، نـشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥م.

(١٤) كما يرى (فليب حتى) أن والد خـالد البرمكى كان رئيـسا لمعـبد بوذى فى بلخ وليس لمعـبد مجـوس. (تاريخ العـرب مطـول بقـلم فلـيب حـتى وآخريـن، ٣٦٦/١، الطـبعة الرابعة ١٩٦٥م دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.

(١٥) الـوزراء والكتاب تصنيف أبى عبـدالله محمد بن عبدوس الجهـشيارى، تحقيق مصطفى السقا وآخرين صـ ٨٩، الطبعة الأولى مطبـعة مصطفى البـابى الحلبى القاهرة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .

(١٦) ابن الطقطقى ١٥٨، قـصة الحضارة، تأليف: ول ديورانت، ترجـمة محمد بدران صـ ٨٩ مـن الجـزء الثانى المجـلد الرابع ، طبعـة دار الجـيل بيروت ١٩٨٨م.

(١٧) الطبرى ٥٤/٨، ٥٦.

(١٨) المصدر نفسه ٥٦/٨ .

(١٩) الأغانى لأبى الفرج الأصفـهانى ١٧٣/٣ نسخة مصورة عن طبـعة دار الكتب المصرية، بيروت - لبنان (د/ت) وراجع أيضا: الوزراء والكتاب ١٥٠.

(٢٠) الأغانى ١٧٣/٣، الوزراء والكتاب ١٥٠ وما بعدها .

(٢١) المسعودى ٣٧٧/٣.

(٢٢) الطبرى ٥٦/٨ .

(٢٣) الوزراء والكتاب ١٥٠، ١٦٩.

(٢٤) تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبى بكر أحمد بن على بن الخطيب البغدادى، ٣٣٤/١٢، نشر دار الكتاب العربى بيروت (د/ت) .

(٢٥) الطبرى ٨/ ٢٣٠، الوزراء والكتاب ١٣٦ .

(٢٦) الطبرى ٢٠٧/٨ وما بعدها، المسعودى ٣٤٢/٣ وما بعدها، الوزراء والكتاب ١٦٩ وما بعدها، قصة الحضارة م ٤ ج٢ صـ٩٠.

(٢٧) الطبرى ٢٣٣/٨، المسعودى ٣٤٨/٣، الجهشارى ١٧٧، ابن خلكان ٢٢١/٦ ، وبينهم اختلاف بسيط .

(٢٨) الطبرى ٢٣٣/٨، المسعودى ٣٤٨/٣، وذكر السيوطى البيتين مع اختلاف فى لفظهما حيث قال: ولما ولى الرشيد الخلافة واستوزر يحيى بن خالد قال إبراهيم الموصلى:

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما أتى هارون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه فهارون وليا ويحيى وزيرها

راجع تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبدالرحمن السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم صـ ٤٦٧ وما بعدها، طبعة دار نهضة مصر - القاهرة (د/ت) .

(٢٩) الجهشيارى ١٧٧.

(٣٠) المسعودى ٣٧٩/٣.

(٣١) المصدر نفسه والصحيفة نفسها .

(٣٢) دينار: هو إبراهيم بن يحيى البرمكى، ولقب بدينار لجماله، وتوفى وعمره تسع عشرة سنة.

(٣٣) الوزراء والكتاب ١٨٠ .

(٣٤) المصدر نفسه ١٨٩.

(٣٥) المصدر نفسه ٢٠٧.

(٣٦) الطبرى ٢٩٣/٨، الجهشيارى ٢٢٤.

(٣٧) العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسى، تحقيق : أحمد أمين وآخرين٥٩/٥، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م، الوزراء والكتاب ٢٣٥ .

(٣٨) الوزراء والكتاب ٢٥٣.

(٣٩) العقد الفريد ٦١/٥، الوزراء والكتاب ٢١٢ وما بعدها .

(٤٠) الطبرى ٢٥٧/٨.

(٤١) الطبرى ٢٨٩/٨، الجهشيارى ١٨٩ وما بعدها، ابن خلكان ٣٣٤/١ وما بعدها.

(٤٢) الطبرى ٨/ ٢٩٤، وابن خلكان ٣٣٣/١ وما بعدها.

(٤٣) الوزراء الكتاب ٢٤٩، وابن خلكان ٣٧/٤.

(٤٤) المعارف ٣٨٢، والفهرست ٤٨٧ .

(٤٥) التاج فى أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ، صـ ١٧٢، ٢٧٩، تحقيق ونشر دار الفكر ودار البحار بيروت ١٣٧٥ هـ ١٩٩٥ م.

(٤٦) آداب الملوك للثعالبى، تحقيق جليل العطية صـ ٥٠ الطبعة الأولى بدار الغرب الإسلامى بيروت لبنان ١٩٩٠م .

(٤٧) الشعر فى ظلال البرامكة تأليف د/ عصمه عبدالله غوشه صـ ٥٩، نشر مركز كتب الشرق الأوسط ١٩٧٥م .

(٤٨) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق لأبى محمد بن يحيى الصولى - عنى

بنشره ج . هيورث. د ن، صـ٢، الطبعة الثانية دار المسيرة بيروت١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

(٤٩) المصدر نفسه صـ١ .

(٥٠) المصدر نفسه، ٥١.

(٥١) طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبدالستار فراج صـ ٢٠٢، ٢٤٠، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦م .

(٥٢) الشعر فى ظلال البرامكة صـ ١٠٠، البرامكة وأثرهم فى الأدب فى عصر العباسين تأليف د/ حسن ذكرى حسن صـ ٩٣، الطبعة الأولى مطبعة الأمانة القاهرة ١٤٠٩- ١٩٨٨ م .

(٥٣) الورقة لأبى عبدالله محمد بن داود بن الجراح، تحقيق د/ عبدالوهاب عزام وعبد الستار فراج صـ ٤، الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر(د/ت) وراجع أيضا الوزراء والكتاب صـ ١٩٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٥ومابعدها،(وفيهما، علم المفحمين ...)

(٥٤) الفهرست، ٤٩٨ .

(٥٥) البرامكة لأبى خلدون على عبدالرحمن الباحسين صـ ٣٥، الطبعة الأولى، مطبعة الأزهر - بغداد ١٩٦٢ م .

(٥٦) راجع : طبقات الشعراء لابن المعتز، ٤٣ وما بعدها، والعمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القبروانى بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ٢/ ١٤١ ومابعدها، الطبعة الرابعة، دار الجليل بيروت ١٩٧٢م. (وبينهما اختلاف بسيط، وقد ذكر ابن رشيق الخبر كاملا). وراجع أيضا الأشعار التى وردت فى الخبر فى (شعر مروان بن أبى حفصة جمعه وحققه د/ حسين عطوان صـ ٨٨، ١٠٦، ٨٩ الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر (د/ ت) .

(٥٧) الأغانى ١١/ ٢٨٦ .

(٥٨) المصدر نفسه ١١/ ٢٨٥ وما بعدها .

(٥٩) الموشح للمرزبانى تحقيق على محمد البجاوى صـ ٤٢٤ طبعه دار نهضة مصر ١٩٦٥م، والبصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى تحقيق وداد القاضى ٧٦/٥ الطبعة الأولى دار صادر بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٨م ، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضى أحمد بن محمد بن أحمد الجرجانى الثقفى، تحقيق: محمد شمس الحق شمسى، ١٣٠/١، الطبعة الأولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٦٠) الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البخارى ومحمد أبوالفضل ابراهيم صـ ١١٠ دار إحياء الكتب العربية (د/ت).

(٦١) المصدر نفسه والصحيفة نفسها .

(٦٢) طبقات ابن المعتز ٤٥ وما بعدها، وزهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى، تحقيق على محمد البجاوى٣٣٦/١ وما بعدها، الطبعة الثانية دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى القاهرة (د/ت) وراجع أيضا الأبيات فى شعر مروان بن أبى حفصة ٥١، ٧٩، ٨٤.

(٦٣) وفيات الأعيان ٦/ ٢٢١.

(٦٤) البيان والتبيين ١٢٠/١.ومورس بن عمران: معاصر للجاحظ، وكان من بخلاء الناس.

(٦٥) معجم الأدباء لياقوت ٥/٢٠، طبعة دار المستشرق، بيروت. لبنان (د/ت).

(٦٦) العقد الفريد ٥٨/٥ .

(٦٧) البيان والتبين ١١٢/١، الصناعتين ٢٩، ٤٨، وثمامة بن أشرس مولى بنى غيركان قوى العارضة حاضر البديهة، وبعد من زعماء المعتزلة، وترأس فرقة من فرقهم تسمى "الثمامية" وقد قتل سنة ٢١٣ هـ .

(٦٨) الفهرست ١٨٢ - ٢٤٢ .

(٦٩) الوزراء والكتاب ١٩٧ .

(٧٠) الفهرست ٢١٤. وورد اللقب محرفا هكذا " جحظة" .

(٧١) معجم الأدباء ٢٤٢/٢. وقريب من هذا الوصف ما ذكره البغدادى فى تاريخ بغداد ٦٥/٤، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ١٣٣/١ .

(٧٢) وفيات الأعيان ١٣٣/١، ١٣٤ .

(٧٣) الفهرست ٢١٤ ومابعدها.

(٧٤) معجم الأدباء ٢٤٢/٢، تاريخ بغداد ٦٩/٤، ابن خلكان ١٣٤/١.

(٧٥) الفهرست ٢١٤، معجم الأدباء ٢٤٣/٢.

(٧٦) معجم الأدباء ٢٨٢/٢.

(٧٧) العمدة ١٠٦/٢ .

(٧٨) المصدر نفسه ١٠٩/٢ ومابعدها .

(٧٩) العقد الفريد ٦٨/٥ ومابعدها، جمهرة رسائل العرب ٣ تأليف أحمد زكى صفوت ٢٢٢/٣ ومابعدها، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م - مصطفى البابى الحلبى القاهرة.

(٨٠) العقد الفريد ٦٥/٥، وهذه الأبيات تنسب أيضا لسليمان الأعمى الذى كان منقطعا إلى البرامكة .

(٨١) المصدر نفسه والصحيفة نفسها .

(٨٢) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس تأليف : محمد المعروف بديباب الأتليدى صـ ١٣٦، طبعة المطبعة اليوسفية بمصر (د/ت) .

(٨٣) ورد هذا البيت ومابعده فى وفيات الأعيان ٢٢٩/٦ .

(٨٤) نسب المسعودى فى مروج الذهب الأبيات الثلاثة الأولى للفضل ٣٩٢/٣، وأورد ابن قتيبة فى عيون الأخبار المقطوعة كلها مع اختلاف بسيط فى اللفظ ولم ينسبها لأحد ٨١/١ وما بعدها طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م ، وأورد الجاحظ فى البيان والتبيين البيتين الأخيرين ولم ينسبهما أيضا ٨٨٦/٣ وذكر ابن

خلكان وابن كثير الأبيات الثلاثة الأولى فقط. وفيات الأعيان ٣٥/٤ والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير، دقق أصوله وحققه مجموعة من المحققين، ١٠/ ٢٢٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م . وتردد ابن خلكان فى نسبتها بين أبى العتاهية وصالح بن عبدالقدوس وعلى بن الخليل .

(٨٥) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهانى ٥٠٦/٢ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١م .

(٨٦) معجم الأدباء ٢٥٦/٢.

(٨٧) المصدر نفسه ٢٥٥/٢ ومابعدها .

(٨٨) البصائر والذخائر ٥٥/١ ومابعدها .

(٨٩) الصناعتين صـ ٤٣ .

(٩٠) معجم الأدباء ٢٤٧/٢.

(٩١) محاضرات الأدباء ٤٩٢/٢.

(٩٢) معجم الأدباء ٢٦٧/٢ .

(٩٣) فى الأصل (حزنت) ولايستقيم بها المعنى .

(٩٤) محاضرات الأدباء ١٥/٣ .

(٩٥) الخبز الخشكار: هو غير النقى من النخالة، وفى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة تأليف ادى شير، الخشكار : ماخشن من الطحين راجع صـ ٥٥ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م .

(٩٦) النوادر لأبى على القالى، صـ ١٨٧ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦م .

(٩٧) معجم الأدباء ٢٦٢/٢ .

(٩٨) المصدر نفسه ٢٦٥/٢ .

(٩٩) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق للصولى صـ ١٥٧، جمهرة رسائل العرب ١٧٩/٣ .

(١٠٠) محاضرات الأدباء ١٩٦/٣.

(١٠١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مه بن العباس صـ ١٤١ .

(١٠٢) وفيات الأعيان ١٣٣/١ .

(١٠٣) معجم الأدباء ٢٥٤/٢ ومابعدها .

(١٠٤) راجع ماذكره د/ مزهر السودانى عن عقيدة جحظة فى كتاب جحظة البرمكى الأديب الشاعر صـ ١١١ ومابعدها طبعة بغداد ١٩٧٧ .

(١٠٥) إتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ، د/ محمد مصطفى هدارة - رحمه الله- صـ ٤٤٨، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر (د/ت).

(١٠٦) معجم الأدباء ٨/٢٠ وجمهرة رسائل العرب ١٨١/٣ مروج الذهب ٣٧٧/٣ وما بعدها وبينهم اختلاف فى رواية بعض الألفاظ، وقد أثبتنا راوية المعجم .

(١٠٧) العقد الفريد ١٢٤/٢، ٤٦٠، ومعجم الأدباء ٥/٢٠ ومابعدها.

(١٠٨) البداية والنهاية ٢٠٢/١٠ .

(١٠٩) تاريخ بغداد ١٣٢/١٤، والبداية والنهاية ٢١٣/١٠ .

(١١٠) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(١١١) الوزراء والكتاب ٢٤٥.

(١١٢) المصدر نفسه ٢٦٠ .

(١١٣) معجم الأدباء ٢٤٩/٢.

(١١٤) تاريخ بغداد ٦٦/٤، معجم الأدباء ٢٤٣/٢، ٢٤٤، البداية والنهاية ١٩٧/١١ ومابعدها، مع اختلاف فى رواية الشطر الأول من البيت الثانى .

(١١٥) التمثيل والمحاضرة للثعالبى، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو صـ ١٠٧ الطبعة الثانية الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م، معجم الأدباء ٢٦٦/٢، نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٠٣/٣، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (د/ت). وبينهم اختلاف بسيط فى بعض الألفاظ .

(١١٦) معجم البلدان لياقوت الحموى ١٩٢/٢، طبعة دار إحياء التراث العربى - بيروت (د/ت).

(١١٧) التمثيل والمحاضرة ١٠٧، نهاية الأرب ١٠٣/٣ .

(١١٨) البصائر والذخائر ٥٢/٨ .

(١١٩) ذيل ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٠١/٢، الطبعة الأولى مطبعة الخانجى بمصر ١٩٧١.

(١٢٠) محاضرات الأدباء ٢/ ٤٣١ .

(١٢١) المصدر نفسه ٥٧٤/٤ .

(١٢٢) الدراج : تعريب تراج، وهو طائر جميل المنظر ملون الريش لذيذ اللحم، (راجع ادى شير ٦١) .

(١٢٣) محاضرات الأدباء ٥٧٦/٤ .

(١٢٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٠ .

(١٢٥) البصائر والذخائر ٨٣/٩ .

(١٢٦) محاضرات الأدباء ٢/ ٧٠٢.

(١٢٧) معجم البلدان ٤٥٣/٤ ومابعدها.

(١٢٨) المصدر نفسه ٣٧٦/١ .

(١٢٩) المصدر نفسه ٥١٣/٢ .

(١٣٠) المصدر نفسه ٥٢٢/٢ .

(١٣١) المصدر نفسه ٢٩٧/٤ وما بعدها .

(١٣٢) المصدر نفسه ٢٠٦/٣ .

(١٣٣) البصائر والذخائر ٢/ ٤٧، معجم الأدباء ٢/ ٢٥٥ .

(١٣٤) الشعرى : كوكب فى الجوزاء .

(١٣٥) وفيات الأعيان ١٣٣/١، البداية والنهاية ١٩٨/١١ .

(١٣٦) معجم الأدباء ٢/ ٢٨٢ .

(١٣٧) محاضرات الأدباء ٣/ ١١٢ .

(١٣٨) معجم الأدباء ٢٤٤/٢ .

(١٣٩) البصائر والذخائر ١٧١/٢ .

(١٤٠) معجم الأدباء ٢/ ٢٤٣ .

(١٤١) المصدر نفسه ٢٤٧/٢ .

(١٤٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٤، البداية والنهاية ٩٨/١١ مع اختلاف بسيط .

(١٤٣) وفيات الأعيان ١٣٣/١ وما بعدها .

(١٤٤) البصائر الذخائر ٧/ ١٠٩ .

(١٤٥) تاريخ بغداد ٦٨/٤، معجم الأدباء ٢/ ٢٤٣ .

(١٤٦) مزهر السودانى ٢١٠ .

(١٤٧) معجم الأدباء ٢/ ٢٤٩ ومابعدها .

(١٤٨) البصائر والذخائر ٢/ ٤٥، معجم الأدباء ٢٥٢/٢ .

(١٤٩) البصائر الذخائر ٥٠/١ .

(١٥٠) المصدر نفسه ٣/ ١٧٦ .

(١٥١) المصدر نفسه ١/٤٩.

(١٥٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٦٥، معجم الأدباء ٢/٢٦٦ .

(١٥٣) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٠٣ .

(١٥٤) البداية والنهاية ١١/ ١٩٨ .

(١٥٥) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٦٣ .

(١٥٦) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٣ .

(١٥٧) العقد الفريد ٢/ ٤٤٨ ومابعدها .

(١٥٨) محاضرات الأدباء ٣/ ٣٤ .

(١٥٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٧ .

(١٦٠) محاضرات الأدباء ٢/ ٢٥٦ .

(١٦١) محاضرات الأدباء ٢/ ٢٥٦ .

(١٦٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٠ .

(١٦٣) المصدر نفسه ٣/ ١٥ .

(١٦٤) وفيات الأعيان ٦/ ٢٢٩ .

(١٦٥) العقد ٥/ ٩٦ .

(١٦٦) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٢ .

(١٦٧) النوادر ١٨٧ .

(١٦٨) وفيات الأعيان ١/ ١٣٣، البداية والنهاية ١١/ ١٩٨.

(١٦٩) معجم الأدباء ٢/ ٢٤٣ .

(١٧٠) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٦٣.

(١٧١) مروج الذهب ٣/ ٣٩٢، وفيات الأعيان ٤/ ٣٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٢ .

(١٧٢) البصائر والذخائر ٣/ ١٧٦.

(١٧٣) الوزراء والكتاب ٢٤٥ .

(١٧٤) مروج الذهب ٣/ ٣٩٢، وفيات الأعيان ٤/ ٣٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٠ .

(١٧٥) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٣ .

(١٧٦) إعلام الناس ١٣٦ .

(١٧٧) الصناعتين ٤٣، وفيات الأعيان ١/ ١٣٣ .

(١٧٨) محاضرات الأدباء ٢/ ٤٣٩ .

(١٧٩) البصائر والذخائر ١/ ٥٦ .

(١٨٠) تاريخ بغداد ٤/ ٦٨، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٤٣ .

(١٨١) محاضرات الأدباء ٢/ ٧٠٢.

(١٨٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٢، البداية والنهاية ١٠/ ٢١٣ .

(١٨٣) معجم الأدباء ٢٠/ ٨.

(١٨٤) البصائر والذخائر ٨/٥٢.

(١٨٥) عيون الأخبار ١/ ٨١ وما بعدها، البيان والتبيين ٣/ ٨٨٦ .

(١٨٦) إعلام الناس ١٤١ .

(١٨٧) محاضرات الأدباء ٢/ ٤٣١.

(١٨٨) معجم البلدان ٣/ ٢٠٦ .

(١٨٩) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٧ .

(١٩٠) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٧ .

(١٩١) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٩.

(١٩٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٥ .

(١٩٣) وفيات الأعيان ٦/ ٢٢٩.

(١٩٤) النوادر ١٨٧.

(١٩٥) البصائر والذخائر ٢/ ٤٧، معجم الأدباء ٢/ ٢٥٥ .

(١٩٦) محاضرات الأدباء ٣/ ١٥.

(١٩٧) البصائر والذخائر ٢/ ٤٧، معجم الأدباء ٢/ ٢٥٥ .

(١٩٨) تاريخ بغداد ٤/ ٨٦، معجم الأدباء ٢/ ٢٤٣.

(١٩٩) معجم الأدباء٢/ ٢٦٣.

(٢٠٠) العقد ٥/ ٦٨، جمهرة رسائل العرب ٣/ ٢٢٢ .

(٢٠١) العقد ٥/ ٦٥.

(٢٠٢) تاريخ بغداد ١٤/ ١٣٢، البداية والنهاية، ١٠/ ٢١٣ .

(٢٠٣) الوزراء والكتاب ٢٤٥.

(٢٠٤) ذيل الثمرات ٢/ ٢٠١.

(٢٠٥) الصناعتين ٤٣، وفيات الأعيان ١/ ١٣٣.

(٢٠٦) معجم الأدباء ٢/ ٢٦٢.

(٢٠٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٤ .

(٢٠٨) محاضرات الأدباء ٢/ ٧٠٢.

(٢٠٩) البصائر والذخائر ٩/ ٨٣.

(٢١٠) معجم البلدان ٢/ ٥٢٢.

(٢١١) المصدر نفسه ٤/ ٢٩٧.

(٢١٢) المصدر نفسه ٢/ ٥١٣.